

جامعة مولود معمري - تيزي وزو-

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الاجتماعية

فرع الفلسفة

إشكالية تحسين النسل البشري ورهاناته
الأخلاقية

مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير

في الفلسفة التطبيقية

بإشراف الأستاذ

أ. رزقي مداح

إعداد الطالبة

فروج نادية

السنة الجامعية: 2024-2025

الإهداء

كفانا عزا أن تكون لنا ربا و كفانا فخرا أن نكون لك عبدا .

أهدي ثمرة جهدي في هذا العمل المتواضع إلى من قال فيهم الرحمن "و لا تقل لهما أف و لا

تنهرهما و قل لهما قولا كريما"

❖ إلى الوالدين محمد اورابحو زينة رحمة الله عليهم،

❖ إلى كل أفراد عائلتي خاصة أمياس و الكتكوتة زينة رتاج،

❖ إلى كل من علمني حرفا،

❖ إلى أساتذتي الكرام

كلمة شكر

أحمد الله الذي وفقني لإنجاز هذا العمل المتواضع ،

إن ربي كريم ،حكيم و بعد...

موفور الشكر و عظيم العرفان موصول إلى :

❖ الأستاذ الدكتور مداح أرزقي على ما بذله من جهد و ما يقدمه من نصح و تشجيع

❖ إلى أساتذة أعضاء لجنة المناقشة على قبولهم قراءة و مناقشة بحثي

❖ إلى كل من ساهم من بعيد أو قريب في سبيل إنجاح هذا العمل: ربيحة ،وسيلة ،جميلة ،زينة ،

وهيبة ،أمانة،حورية.

❖ إلى أساتذة قسم الفلسفة الأجلاء

❖ إلى البروفيسور :السيدة سليمان مليكة

فهرس المحتويات

06	1- مقدمة
	2 - الفصل الأول : تحسين النسل بين التقدم العلمي و التحديات الأخلاقية
12	1- الإطار المفاهيمي و العلمي لتحسين النسل
12	أ- تعريف تحسين النسل وتاريخ ظهوره و أنواعه-
18	ب- التطور العلمي في مجال تحسين النسل (نتائج الهندسة الوراثية، التعديل الجيني، الفصل الجيني)
23	ج - التطبيقات الجديدة في مجال تحسين و تأثيرها على المجتمع
26	2. التحديات الأخلاقية لتحسين النسل
26	أ - مخاطر التمييز العنصري و الطبقي
28	ب - إنتهاك حقوق الإنسان و الحريات الفردية
31	ج - الطابع النقاشي لمشكلة تصميم الأجنة و تحديد الصفات الوراثية
	الفصل الثاني : تحسين النسل بين الموقف الفلسفي و الديني
39	1- تحسين النسل من منظور فلسفي
39	أ- النظرة الليبرالية و النفعية لتحسين النسل
39	أ-1- الموقف الليبرالي من امكانية تحسين النسل
41	أ-2- النظرة النفعية و مشكلة تحسين النسل
45	ب - النقد الفلسفي لفكرة تحسين النسل
45	ب 1- موقفها برماس
47	ب 2 - موقف فوكوياما
49	ج - مفهوم العدالة لتحسين النسل بين الحرية الفردية و المصلحة العامة
50	د- الأبعاد العلمية لتحسين النسل
50	د-1- موقف البيو محافظ (Bioconservateur)
53	د-2- موقف النزعة التحسينية (Transhumanisme)
55	2- موقف الأديان من تحسين النسل
56	أ الموقف الإسلامي لتحسين النسل
59	ب - موقف اليهودية و المسيحية لتحسين النسل
61	ج - التوافق أو التعارض بين الدين و العلم لتحسين النسل
66	الخاتمة

مقدمة

مقدمة

أسهم التقدم العلمي والتطور البيوتكنولوجي، خاصة في منتصف ونهاية القرن العشرين، في إحداث تحولات هامة في حياة الإنسان، وبخاصة في مجالي الطب والبيولوجيا. ونتيجة لهذه التطورات، أصبح العقل الأخلاقي أمام تحديات أكسيولوجية جديدة، حيث أدت التطبيقات التقنية في مجالي الطب البيولوجية إلى بروز عدة تساؤلات فلسفية ذات طابع أخلاقي، وأصبح من الضروري إيجاد أجوبة ملائمة لها بما يتناسب مع متطلبات الكرامة الإنسانية ومستقبل الإنسان و مصيره. ولقد شكلت البيواتيقا هذا الحقل المعرفي والقيمي الجديد الذي تناقش فيه المشكلات في حقل الناتجة عن هذه الثورة العلمية المعاصرة.

من بين المسائل التي استحدثتها هذا التطور العلمي نجد مسألة "تحسين النسل البشري"، والتي لم تعكس، من جهة التقدم الكبير الذي حققه العقل العلمي، والتحدي الأخلاقي العويص الذي يجابهه العقل الأخلاقي نتيجة لهذا التقدم.

أبرزت هذه التطورات عدّة نتائج التي أثرت على سيرورة الحياة الإنسانية بطريقة إيجابية أحيانا، وبشكل يثير التساؤلات والشكوك أحيانا أخرى. إذ على الرغم من تعدد إجابيات هذا التقدم إلا أنه لا يمكن تجاهل مخاطر توظيفه السلبي على حياة الإنسان وكرامته. إن الانشغالات الأخلاقية التي ظهرت في مجال الممارسة الطبية نتيجة لتطبيقات مثل البرمجة الجينية، وزراعة الأعضاء، وأطفال الأنابيب ومشكلة تحسين النسل، هي بمثابة تحديات حقيقة للنظريات والقيم الأخلاقية، حيث يستعسر علينا إيجاد حلول أخلاقية جاهزة لها في الإرث الأخلاقي، سواء ما تعلق منه بالجانب الفلسفي أو المجال الديني؛ لأنها مسائل لم يسبق للإنسانية أن واجهت مشكلات مماثلة لها، وإن وجدنا بعض عناصر الإجابة عنها، فهي غالبا لا ترقى إلى رتبة الإجابة النسقية المتراسة الجوانب، وتبقى بذلك حلولا غير كافية، ولا تغني العقل الإنساني عن البحث عن إجابات أخلاقية شافية لهذه المسائل الجديدة التي ذكرنا فقط بعضها في هذا البحث.

سوف نركز في هذا البحث على إشكالية تحسين النسل البشري ورهاناته الأخلاقية، ولها نتساءل في هذا البحث على النحو التالي: إذا كان تحسين النسل البشري والارتقاء بهذا الكائن الإنساني أمرا متاحا في ظل الثورة البيو-تكنولوجية، فهل يعني ذلك أن هذا الأمر يمكن أن يكون مشروعا من الناحية

الأخلاقية؟ وما هي حدود السماح بمثل هكذا ممارسات في مجتمعات تملك مرجعيات دينية، وقيمة وثقافية غائرة في الأصالة؟ وهل يمكن أيضا أن نلغي من زاوية أخلاقية إمكانية الاستفادة من هذه التقنية "تحسين النسل"، بخاصة وأنها تفتح لنا آفاق التغلب على بعض المشاكل التي يفرزها القصور الطبيعي في الإنسان؟

لتحليل عناصر هذه الإشكالية، اتبعنا المنهج التحليلي النقدي المناسب للمقاربة الفلسفية، مع اعتمادنا أيضا على مناهج أخرى عند الحاجة إليها مثل المنهج الاستنتاجي، والمنهج المقارن، على الرغم من أن حضورهما ليس بكثيف في هذه الدراسة. حيث يمكننا المنهج التحليلي النقدي من تحليل كل المواقف من إشكالية تحسين النسل البشري، والنظر إليها من زاوية نقدية، بغية المحافظة على الطابع الموضوعي لدراستنا وتجنب الوقوع في الذاتية، بخاصة وأن طبيعة الموضوع قد تجعل التزام الموضوعية بالأمر العسير.

لدراسة هذا الموضوع، وضعنا خطة اشتملت على فصلين و خاتمة. **في الفصل الأول المعنون ب "تحسين النسل" بين التقدم العلمي والتحديات الأخلاقية،** قدمنا تعريفات ووضحنا أهم الأفكار والمفاهيم المحورية في هذا البحث. يحتوي هذا الفصل على مبحثين، حيث خصصنا المبحث الأول المعنون "بالإطار المفاهيمي" والعلمي لتحسين النسل لتعريف النسل وأنواعه، والنتائج العلمية المحصلة في مجال تحسين النسل، ثم عددنا التطبيقات الجديدة في مجال تحسين النسل وتأثيرها على المجتمع.

أما المبحث الثاني والموسوم بالتحديات الأخلاقية لتحسين النسل، فتطرقنا فيه إلى مخاطر التمييز العنصري والطبقي التي يمكن أن تنجم عن تطبيقات تحسين النسل البشري، ثم حللنا أيضا احتمال انعكاساته السلبية على حقوق الإنسان والحريات الفردية، وركزنا أكثر على الطابع النقاشي لمشكلة تصميم الأجنة.

عنونا الفصل الثاني، من هذا البحث، **بتحسين النسل بين الموقف الفلسفي والموقف الديني،** ويحتوي هو الآخر على مبحثين أساسيين. قدمنا المبحث الأول بعنوان "تحسين النسل من منظور فلسفي" و تطرقنا أساسا إلى فكرة تحسين النسل كما صاغها أفلاطون في كتاب الجمهورية، ولو أن مفهومه يختلف عن المعنى المعاصر لما يقصد به بتحسين النسل. كما عرجنا على الموقف النقدي لفكرة تحسين النسل، وركزنا على موقف **يورغن هابرماس وفرانسيس فوكوياما.** أما المبحث الثاني من هذه المذكرة فخصصناه لتفحص موقف الأديان من تحسين النسل " حيث تطرقنا إلى موقف الدين

الإسلامي من تحسن النسل البشري، ثم حللنا أيضا موقفا اليهودية والمسيحية من تداعيات هذا التحسين. بالإضافة إلى ذلك، ناقشنا ثنائية التوافق أو التعارض بين الدين والعلم بخصوص تحسين النسل، من خلال مقارنة الغايات العلمية القصوى بالمبادئ الدينية السامية. في ختام هذا البحث، عرضنا حوصلة النتائج التي توصلنا إليها من خلال نجد الخاتمة والتي عرضنا فيها أهم النقاط والمحطات الأساسية التي توصلنا إليها، وبيننا مدى صعوبة اتخاذ القرار الأخلاقي. إذ وضحنا أن إشكالية تحسين النسل البشري لم تعد مجرد موضوعاً نظرياً أو خيالياً علمياً، بل أصبحت قضية واقعية تفرض نفسها بقوة في ظل التقدم المتسارع في تقنيات الهندسة الوراثية. فهذا التقدم، رغم ما يتيح من فرص لعلاج الأمراض الوراثية وتحسين جودة الحياة، يثير تساؤلات أخلاقية عميقة تمس جوهر الإنسان وحقوقه الأساسية، مثل الحق في التميز، والاختلاف، والكرامة. وبين وعود العلم ومخاطر التجاوز، يقف الإنسان اليوم أمام مفترق طرق يتطلب حكمة في التعامل مع حدود التدخل في الطبيعة البشرية. لذلك، تظل الحاجة ملحة لإطار أخلاقي وقانوني عالمي يوازن بين طموحات العلم ومبادئ العدالة والاحترام الإنساني، لضمان أن تظل هذه التقنيات في خدمة الإنسان لا العكس.

تتجلى أهمية دراسة موضوع "تحسين النسل ورهاناته الأخلاقية" في كونه يمس جوهر الكيان الإنساني وكرامته، وهما قضيتان محوريتان في الفلسفة التي تسعى إلى الارتقاء بالوجود الإنساني، وحمايته من التحديات الصحية والاجتماعية المعاصرة. فالطب، الذي يشكل محور هذا الموضوع، شهد تطوراً كبيراً بفضل تقنيات الهندسة الوراثية، مما أتاح للإنسان المعاصر فرصاً غير مسبوقة في التحكم بجيناته، ليس فقط لعلاج الأمراض أو إصلاح العيوب الوراثية، بل لانتقاء أفضل الصفات والخصائص الوراثية، بما يفتح آفاقاً جديدة نحو حياة أطول وأكثر صحة وسعادة. هذا التحول العلمي يفرض علينا مساءلة أخلاقية عميقة حول طبيعة هذا التقدم، وقيمه، وحدوده، وهو ما يجعل هذا الموضوع من أكثر المواضيع إلحاحاً في زمننا الراهن.

اعتمدت هذه الدراسة على المنهج التحليلي النقدي لتفكيك الرهانات الأخلاقية والعلمية التي يطرحها موضوع تحسين النسل، مدفوعة بعدة أسباب جوهرية، في مقدمتها ارتباط الموضوع بحق الإنسان الأساسي في الحياة وصون كرامته. كما أن الفضول العلمي، والمتعة الفكرية الناتجة عن الخوض في القضايا الحديثة، والرغبة في دراسة موضوع علمي متجدد، كانت دافعاً أساسياً لاختياره. يضاف

إلى ذلك التأثير العميق للبيوتكنولوجيا، والاكتشافات الطبية التي أنتجت أشكالاً جديدة للحياة، وفرضت تحديات أخلاقية واجتماعية غير مسبوقة، في ظل تحولات عميقة يشهدها العصر العلمي والتقني، الذي أفرز واقعاً بيولوجياً جديداً يستدعي تفكيراً فلسفياً وأخلاقياً عميقاً .

الفصل الأول

تحسين النسل بين التقدم العلمي والتحديات الأخلاقية

1- الإطار المفاهيمي و العلمي لتحسين النسل

شهد العالم في العصر الحديث ثورات علمية كبرى، لا سيما في مجال البيولوجيا، مما أدى إلى تقدم مذهل في فهم وعلاج الأمراض. تمكن الأطباء من التحكم في الجينات وزراعة الأعضاء، وحققوا اكتشافات تهدف إلى تحسين صحة الإنسان ونوعية حياته. ومن بين هذه المجالات، يبرز "تحسين النسل" كفرع يهتم بتقليل انتقال الأمراض الوراثية وتعزيز الصفات الوراثية الجيدة. ينقسم تحسين النسل إلى نوعين: إيجابي يشجع على إنجاب أفراد الأصحاء، وسلبى يهدف إلى الحد من انتقال الأمراض الوراثية. وقد ساهمت التقنيات الحديثة مثل التعديل الجيني CASPERCAS 9 والفحص الوراثي قبل الولادة في تحقيق نتائج علمية مذهلة. تشمل التطبيقات الجديدة اختيار الأجنة السليمة، والعلاج بالخلايا الجذعية، والتدخل الجيني المبكر. ورغم الفوائد الكبيرة لتحسين النسل، إلا أن له آثاراً اجتماعية وأخلاقية تحتاج إلى تنظيم دقيق

أ - تعريف تحسين النسل وتاريخ ظهوره و أنواعه.

أ-1- **التعريف اللغوي:** يتكون مصطلح تحسين النسل من مفردتين هما التحسين والنسل. التحسين في اللغة " مأخوذ من الحسن وهو الجمال " ¹ والحسن ضد القبح و جمعه محاسن و حسن الشيء تحسيناً زينه ²، أما النسل في اللغة فهو "الولد لأنه ينسل من والديه و تناسلوا ولد بعضهم من بعض" ³. ويطلق النسل كذلك على الذرية وتناسل بنو فلان إذا كثر أولادهم ⁴. وعليه يكون تحسين النسل هو تزيين الذرية.

أ-2- **التعريف الاصطلاحي:**

إن تحسين النسل (اليوجينيا) Eugenique هو مصطلح اغريقي الأصل معناه الأصل والأرومة، وكمصطلح مركب "تحسين النسل" قد عرف عدة تعريفات نذكر أهمها :

• إن تحسين النسل: " هو دراسة جميع قوانين الوراثة التي يمكنها تحسين العرق الإنساني "

¹، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ط 1، بيروت مؤسسة الرسالة، 2005، ص. 1535

²بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى 1984. محمد بن أحمد الأزهرى، تهذيب اللغة،

³أحمد بن فارس.مقاييس اللغة. تحقيق: عبد السلام هارون، بيروت: دار الجيل، 1991، ص 420.

⁴محمد بن مكرم إن منظور، لسان العرب، ط 3، بيروت دار صادر، 1998، ص، 660

- هذا التعريف قد حصر تقنية تحسين النسل في دراسة القوانين المتعلقة بالوراثة في حين أن تحسين النسل هو أخطر من ذلك، فقد يعتمد أحيانا على قوانين وراثية وابتعد عنها أحيانا أخرى بطرق متشعبة¹.
- كما عرف تحسين النسل على أنه: "العلم الذي يتعامل مع جميع المؤثرات التي تؤدي إلى تحسين وراثي".
- إن هذا التعريف قد اشتمل على مصطلحات غامضة من جهة ومن جهة أخرى قد جعل تحسين النسل علما من العلوم، والحقيقة أن وصفه بالعلم في حقه، لأن هذه التقنية ليست علما قائما بذاته بل هي تعتمد في الأساس على علوم أخرى كعلم الوراثة وبعض علوم الطب².
- كما عرف تحسين النسل على أنه "الدراسة النظرية والعملية لكل الوسائل التي تستطيع أن تقي أو تحسن العوامل الأقوى والأفضل للعروق البشرية"³.
- كما ينظر إليه على أنه حركة أو مذهب أو اتجاه يضم أجناس أو أنشطة تهدف إلى تحسين نوعية البشر عن طريق معالجة العيوب الوراثية للمرضى (اليوجينيا الإيجابية أو التخلص منهم و تصفيتهم اليوجينيا السلبية"⁴.
- يفهم من تحسين النسل أيضا أنه "العلم الذي يعالج كل المؤثرات التي تحسن من النوعية الأصلية للسلالة"، ونميز بين اليوجينيا eugénique كدراسة للعوامل القادرة على تطوير النوع الإنساني وتحسين النسل L'EUGÉNISME كمذهب اجتماعي و سياسي موجه لاحتضان هذه التحسينات بطريقة جذري"⁵.
- كما ورد في القاموس Larousse "العلم الذي يهدف لتحسين الشروط الفيزيائية للجنس البشري"⁶.
- وكان قد اقترح فرانسيس غالتون * عام 1883، وهو ابن عم تشارلز داروين برنامجا للتكاثر البشري أسماه علم تحسين النسل EUGÉNISME، وكان الهدف منه لا يقتصر على إيقاف

¹ - أنظر حاتم أمين محمد عبادة، وسائل تحسين النسل البشري بين التجريب الطبي والتشريع الإسلامي، دار الفكر الجامعي الاسكندرية، 2012، ص 18، ص 19

² - حاتم أمين محمد عبادة: وسائل تحسين النسل البشري بين التجريب الطبي والتشريع الإسلامي، المرجع السابق، ص 19 تاريخ الدخول: 24 مايو

³ .الموسوعة العربية العالمية. "تحسين النسل". <https://www.mawsoah.net>. 2025:

⁴ كارم عني، الاستنساخ و الإنجاب بين تجريب العلماء و تشريع السماء ، ص 333

⁵ -eugenisme : sciences ayant pour objet les conditions d'amélioration physique de l'espèce humaines

⁶ -Gibert Hottois, Jean Noel Mlissia, Nouvelle Encyclopédie de la bioéthique terme eugenisme. De book ,université Bruxelles, 1 ed, P416

*فرانسيس غالتون: عالم أنثروبولوجي انجليزي 1822- 1911، اهتم بموضوع اليوجينيا وكتب جزء من أوله في وصية لتصرف في إنشاء مؤسسة لدراسة اليوجينيت بلندن.

الانحلال أو التدهور المفترض للمخزون البشري بل يتعداه إلى تحسين الصفات الجسمية و الفكرية للأجيال المقبلة¹.

أما من الناحية الإجرائية فهو السعي بكل طريقة ممكنة إلى إيجاد صفات معينة في الذرية أو حجبها عنها أي إيجاد الصفات المرغوبة التي تساهم في قضية تحسين النسل. وعليه تدل كلمة Eugénisme أيضا على الحركة الاجتماعية السياسية الإيديولوجية التي تدافع عن ممارسة تحسين النسل أو إيديولوجيا تحسين النسل².

أ-3- تاريخ ظهور تحسين النسل:

يعد "غالطون" أول من دعى بشكل صريح إلى تحسين النسل البشري حيث كان يعتقد بأن الإنسان يستطيع أن يتحكم في مسار التطور الإنساني، وأن يدفع بهذا التطور في الاتجاه الذي يريد، فالإنسان يستخدم العلم لمعالجة عدد كبير من الأمراض والأوبئة التي تصيبه مثل الأدوية والمضادات الحيوية التي تقضي على الأمراض مثل الجرب والملاريا و السل... إلخ. لكن ما نتحدث عنه اليوم ليس معالجة الأمراض والعيوب التي تولد مع الإنسان وإنما نقصد استخدام العلم لتحسين و تفعيل القدرات البشرية³.

تعود أصول هذه الفكرة إلى نصوص أفلاطون PLATON* صاحب النظرية السياسية الأرسطراطية التي تقوم على مبدأ التفوق الطبيعي لبعض الأفراد على نظرائهم داخل المجتمع⁴، فمثلا حين يولد بعض بعض الأطفال مع بعض الأغلط الوراثية في بعض الجينات سيؤدي ذلك إلى أن يكون جنس المولود لأن يكون أنثى أو ذكر حسب رغبة العائلة يقول أفلاطون "ينبغي توليده توليدا حسنا من أبوين قويين صحيحين يجب أن يبدأ التعليم قبل الولادة فلا يتناسل رجل و امرأة ما لم يكن في صحة جيدة و يطلب من كل عريس و عروسة تقديم شهادة تثبت صحتها⁵".

كما يطمح العلماء بهذه التقنية إلى تحسين القدرات العقلية كالذكاء الخارق والشخصية القوية والذاكرة التي لا تخبو. وعلى العكس مما هو شائع في الأزمنة المعاصرة أن فكرة تحسين السلالة البشرية هي من وحي السياسي "أودلفهتلر" بينما في الحقيقة هناك عدد من الأسماء في تاريخ أوروبا أمثال "غالطون" في

1- سعد محمد الحفار، البيولوجيا ومصير الانسان، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، العدد 38 نوفمبر 1984، ص29.

2- عمر بوقناس، البيوتقة، الأخلاقيات الجديدة في مواجهة تجاوزات بيوتكنولوجيا (د ط) المغرب، افريقيا شرق، 2011، ص 366

3- موسى الخلف، العصر الجيونيومي، استراتيجيات المستقبل البشري، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت 2003، ص180. أفلاطون، 347، 427، قم فيلسوف يوناني يعتبر واحد من أعظم المفكرين في التاريخ الغربي.

4- دانيال كيفلس ولوري هودي، الشفرة الوراثية للإنسان تر أحمد مستجير، إصدارات المجلس الوطني للثقافة والأدب، ص146.

5- مقال البيوجينيا من الفلسفة للتطهير العرقي بأسن الانساية لهناء الحمراكي على الرابط التالي: <http://woman.is.am.message.com/article.aspx.id:3894>

عام 1869 كما سبق الذكر في البداية فهو كان من أقوى الداعين إلى تحسين النسل البشري و يوفي النواة التي وضعها الإغريق في عملية تحسين النسل فقام بتطوير هذه العملية وكان أول من استعمل مصطلح "تحسين النسل" وذلك من خلال إستيلاد الأقوى أو الأصلح وراثيا كالعابرة والأدباء والعلماء و تعقيم الضعفاء الذين يخشى أن يورثوا الأولاد الصفات الضعيفة، فقد تمكن عام 1904 من إنشاء معهد لعلم الوراثة في التاريخ و قد سماه المختبر الوطني لعلم تحسين النسل الإنساني ثم غير الاسم ليصبح مختبر غالتون GALTON.

ÉLISABETH لقد أجريت أول تجربة على البشر لتحسين العرق البشري تحت إشراف NIETZCHE * في عام 1886 حيث اختارت عددا من سكان منطقة "سكسونيا" و الذين يتمتعون بسلالة وراثية راقية -بزعمهم- و كان الهدف من التجربة استئصال سلالة بشرية جديدة تكون نقية الدم تتمتع بقدرات وراثية خارقة، و كانت النتيجة و جود أشخاص يملكون عيون زرقاء معظمهم فقراء و مرضى.¹

وفي عام 1898 أنشأ مكتب لسجل علم تحسين النسل على يد "هاريمان"، HARRIMAN و في مطلع القرن العشرين تأسست النوادي الأهلية التي تهتم بتحسين النسل.

في عام 1910 أعلن ونستون تشرشل WINSTON CHURCHIL* عن مقولته "إن النمو الشاذ المتزايد السرعة لطبقات ضعفاء العقول و المتخلفين و الذي يصاحبه كما نعرف تقييد مطرد في نمو كل السلالات القوية الرفيعة يشكل خطرا قوميا و عرقيا داهما على أوروبا و إنني أعتقد أنه من الضروري أن يوقف ذلك الرافد الذي يغذي نهر الجنوب قبل مرور عام و إلا أصيبت أوروبا كلها بالجنون"². لكن أزالت الحكومة البريطانية هذا القول في عام 1992 وهذه دعوة صريحة لتحسين النسل السلبي في اعتقاد تشرشل عن طريق إيقاف سلالة تلك الطائفة من الناس سواء كان ذلك بالإبادة أو بالتعقيم.

كما نجد أن هتلر "A.HITLER بنظرية العرقية³ دعا إلى تحسين الوراثة للنسل البشري حتى تكون الصفات الوراثية المتناقلة جينيا صالحة للقوة النفسية والجسدية للأبناء الذين يرثونها، فقد أجريت في

¹ - محمد العتيبي، تحسين النسل في العصر الحديث "اليوجينيا"، منشور في مدونته على الأنترنت.

* وينستون تشرشل 1894- 1965 يعتبر واحد من أبرز القادة في تاريخ بريطانيا.

² - أنظر مقال اليوجينيا، ينشر حسب الطلب طارق الديب

³ -دانيال كيفلس ولوري هودي، الشجرة الوراثية للإنسان، ترجمة أحمد مستجير، إصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2000، ص 17-19.

أبحاث لأربع مائة ألف شخص عملية التعقيم عام 1923 عندما أنشأ في ميونيخ Munich كرسي لصحة السلالة شغله البيولوجي "فريتسلينتس" FRITESSE LINTEC و كما تأسس في برلين Berlin عام 1927 معهد القيصر فيلهم الأنتربولوجي ووراثته الإنسان و اليوجينيا ذلك المعهد الذي رأسه الأنتربولوجي يوجين فيستر*.

في عام 1988، ظهر في الصين الشيوعية تشريع رسمي يقضي بخطر زواج المعاقين ذهنيا إلا في حالة تعقيمهم كي لا يتناسلوا و إستمر العمل بهذا القانون لعدة أعوام حتى تم إلغاؤه بعد ضغوط مارستها منظمات حقوقية دولية على حكومة الصين الشيوعية.¹ أما في السنوات الأخيرة اتخذت معظم الحكومات في أوروبا تدابير للحد من المعوقين عقليا و جسميا نتيجة الكثير من الأمراض الوراثية².

إن الهدف من فكرة تحسين النسل هي إطالة الحياة وتطوير قدرات الإنسان، والقضاء على المشاكل التي كان يعاني منها كالأوبئة والمجاعة وغيرها عن طريق الطب الوقائي والشفائي. ويعارض الفيلسوف الفرنسي فرانسوا دواغوني³ FRANCOIS DAGOGNET كل التقنيات التي تهدف إلى تطبيق مبدأ الانتخابات تحت ذريعة تحسين النسل⁴. عموما، لقد أوصى دعاة هذه الحركة إلى التدخل في تكاثر البشرية لرفع تكرار الجينات الطيبة اجتماعيا في العشيرة و خفض تكرار الجينات الرديئة.

أ-4- أنواع تحسين النسل

1_ اليوجينيا الإيجابية: تحسين النسل الإيجابي وهو التحسين الذي يهدف إلى إيجاد صفات إيجابية أو مرغوبة في الذرية سواء كانت جسدية كالقوة والطول والبياض، أو معنوية كالذكاء والشجاعة. وهنا نلاحظ أن معيار التفوق و القوة لا يقاس بالامتيازات المادية المالية و الاجتماعية بقدر ما أصبح يقاس بمدى سلامة السلالة وقوتها ومن أجل كل هذا تم استخدام الهندسة الوراثية لإستبدال جينات مسؤولة عن صفات مريضة أو حتى عادية بأخرى جيدة تمنح جيلا أكثر قوة وذكاء كالتحكم في الطول والوزن و لون البشرة... إلخ. والمعروف عن هذه التقنية هي أنها تدخل تحت ما يسمى بالأطفال حسب الطلب⁵.

*نيوجين فيستر 1952، عالم أحياء أمريكي معروف بأبحاثه في مجالات علم الأحياء الجزيئي وعلم الوراثة.

1- أنظر: التناسل الانتقائي لتحسين النسل البشري ص 171

2- أنظر: الموسوعة العربية العالمية على الأنترنت، مبحث تحسين النسل.

*فرانسوا دواغوني 1924- 2020 فيلسوف وابتستولوجي يعرف بأعماله في فلسفة العلوم وعلم الأحياء والأخلاق.

4- Françoïdagognet, le vivant, édition Bordas, paris 1998, p 179

5 جوزيف ريندال، كل شيء عن الوراثة، تر "حسين فهمي فراج" مراجعة كمال منصور ط1 دار المعرفة مصر 1929 ص 124

كما يطمح العلماء إلى تصنيع جزئي تشبه إلى حد كبير مادة الدنا DNA من خلال جميع مكوناته من مواد كيميائية بسيطة يكون قادرا على أن يسلك سلوك الدنا DNA الطبيعي و هذه التقنية تمكن الحصول على جميع الصفات الوراثية المرغوبة فيها للحصول على سلالات حسب الطلب.

2_ **اليوجينيا السلبية**: تحسين النسل السلبي¹، وهو التحسين الذي يهدف إلى منع الصفات السلبية أو غير المرغوب من التواجد في الأطفال والمنع، وهنا يأخذ أشكالا متعددة:

أ- يكون بعلاج الجينات من الأمراض الوراثية للحد من انتقالها إلى النسل.

ب - محاولة توعية الأفراد الذين لا يعانون من أي مشكل وراثي لعدم الارتباط بأفراد مصابين بأمراض وراثية لتفادي إدخال الجينوم نحو المرض في نسل أو سلالة سليمة.

ج - يكون بإجهاض الأجنة المشوهة.

من الناحية العلمية لم يحدث الكثير بالنسبة اليوجينيا الإيجابية ، لكن تمت إدعاءات يوجينية قد ظهرت عند بدء سياسات الدعم العائلي في بريطانيا و ألمانيا في الثلاثينيات كما كانت مسائل اليوجينيا الإيجابية مضمنة بالتأكد في منافسات أفضل العائلات التي أقيمت بأمريكا في العشرينات لكن الكثير قد تم لليوجينيا السلبية وعلى وجه الخصوص تمرير قوانين التعقيم اليوجيني، فمع أواخر عشرينات هذا القرن كان هناك نحو دساتير من الولادات قد وضعت ، و سنت مثل هذه القوانين و كان ذلك في أحوال كثيرة بمساعدة مكتب التسجيل اليوجيني و قد أعلن عن دستوريا هذه القوانين عام 1927.

إن التقدم المذهل في مجال الجينات و الهندسة الوراثية في تحسين النسل بدأ يأخذ منحى أدنى أو أكثر خطورة مما كان عليه ذلك ، أن علم الجينات أصبح يؤلف قاعدة الإسهام كمساعد رئيسي لهذه القضية حيث يهدف إلى ميلاد أناس أقوى أصحاب خاليتين من العاهات المرتبطة ببعض الجينات بل إنه إذا أطلق تحسين النسل في هذا العصر يكاد ينصرف إلى هذا النوع من التحسين ، و هو التحسين الجيني أو الوراثي.

ينبغي أن نشير هنا إلى فكرة أن منذ بروز المشروع النظري ل علم تحسين النسل البشري وأصابع الاتهام تتجه نحو هذا المشروع، بأن الهدف الأول منه عنصرى، بمعنى أنه يفضل جنس على جنس أو لون على لون، ويظهر ذلك من خلال تنشيط سلالات عشائر وقبائل معينة وبتهيئة البيئة والظروف الملائمة لذلك

¹ ما يسمى اليوجينيا السلبية أنظر: الموسوعة العربية العالمية على الأنترنت مبحث تحسين النسل

وإقصاء غيرهم وإعاقتهن عن التكاثر بأي طريقة كانت لا لشيء سوى أنهم جنس وأقلية لا تستحق العيش على الأرض¹، ولعل ما يؤكد هذا ما نقل عن فرانسيس غالتون قوله "كلاب إفريقيا تكف عن النباح إذا ما تنفست هوائنا"².

ب- التطور العلمي لمجال تحسين النسل البشري ونتائج الهندسة الوراثية: التعديل الجيني / الفصل الجيني.

بفضل التقدم المتسارع في المعرفة النظرية والتطبيقية ظهرت قدرات جديدة تتجه إلى الإنسان ذاته بمعنى تطورات العلم و منجزاته ، وإعادة صنع الطبيعة لصالحه سواء كان ذلك بالجراحة أم بالعقاقير أم بالتوليد الاصطناعي أم تكييف الجينات و تعديلها أو نقلها و عزلها أو تنقيتها أو تطعيمها أو دمجها كما تمكن الإنسان من تنمية معلوماته عن الجزئيات الأساسية للخلية الحية ، فتمخض عن ذلك علم جديد يعرف باسم الهندسة الوراثية³ . و كان هذا يدخل في نطاق ما يعرف اليوم باسم الهندسة البيولوجية و هي جزء أو فرع من الثورة البيولوجية و التي مكنت الإنسان من اكتشاف خريطته الجينية و " التعريف العام للهندسة الوراثية هو استخدام معرفتنا للموروثات لإنجاب أطفال نتوقع أن لديهم مرض وراثيا معيناً أو عيباً وراثياً معيناً، وهذا يعني أنه يمكن للوالدين التحكم جزئياً في طفل المستقبل ولطفل المستقبل الحق أن لا يكون معوقاً جسدياً أو عقلياً⁴ . ويحدث ذلك من خلال تحسين الصفات الوراثية ، وإصلاح العيوب ولقد أمكن تحديد أربع مراحل متميزة لهذه الثورة مرحلة البيولوجيا الجزئية * ثم مرحلة البيولوجيا الخلية ** مرحلة علم الغدد الصم العصبي ** ثم مرحلة ثورة الهندسة الوراثية .***

قد أصبحت الهندسة الجينية الآن جوهر علوم الحياة، وعلى الرغم من أنه علم جديد لا يتعدى عمره بضعة سنين إلا أن النتائج التي حققها العلماء أصبحت بمثابة مؤشرات تشير إلى حل ما هو مثير و مرعب و غريب، ثم إن هذه المؤشرات هي دليلنا على التنبؤ بما يصير عليه حال الإنسان ذاته في المستقبل القريب أو البعيد⁵ فما هو مسار تطور الهندسة الوراثية و ما هي أهم نتائجها؟ و ما هي أهم تطبيقاتها؟ .

¹- أنظر مقال اليوجينيا عن الفلسفة للتطهير العرقي باسم الإنسانية لهناء الحمراني و مقال اليوجينيا من التطبيقات البدائية إلى المخططات الحديثة أحمد صدقي على الرابط التالي http://errachidianewsover_blog.com/article/27484596.html
²- أنظر مقال اليوجينيا ينشر حسب الطلب طارق الديب

3P.C TURNER,AG MCLENNAN.AD BATES,BIOLOGIE MOLÉCULAIRE, BERTE ÉDITIONS,PARIS 2000 P1³

4-أحمد محمود صبحي محمود فهمي زيدان،في فلسفة الطب، دار النهضة العربية بيروت (د.ط 1993 ص148)
الجيني، LE GENE:الوحدة المادية للوراثة و تتكون من متواليات معينة من تيو كيلو تيات متوضعة في موقع معين على سطح صبغي معين

إن التقدم الذي بلغه علم الوراثة كان علامة على ميلاد علم الهندسة الوراثية الذي كان تتويجا لتطور البيولوجيا عبر عدة مراحل أهمها:

1_ مرحلة علم الحياة الجزئية: وهو علم يحاول فهم آليات الحياة على مستوى الجزئيات و التفاعل ، بينهما و قد تولدت من أبحاث العلماء الوظيفية الفيزيولوجية الذين درسوا التراكيب الحيوية في الكائن العضوي كله، إلى أصغر خلية فيه وأبحاث الفيزيائيين والكيميائيين، الذين انتقلوا من الجزيء إلى التراكيب الصغيرة في الخلية، وعلماء الوراثة الذين اكتشفوا الجينات، ولأول مرة في تاريخ البيولوجيا أتيج لنا التفسير الجزيئي لآليات الحياة الأساسية ، معرفة القانون الكيميائي الضروري للانتقال الوراثي وترجمة المعلومات الجينية¹.

2_ مرحلة علم الحياة الخلوية : ففي ه المرحلة لا تقتصر الدراسات البيولوجية على دراسة العلاقات داخل الخلايا نفسها، بل تشمل أيضا وبصفة أساسية دراسة العلاقات داخل الخلايا وعلاقة الخلايا بين بعضها البعض، وذلك باعتبار أن الخلايا تشكل مجتمعا داخل الأنسجة، حيث يتصل بعضها ببعض عن طريق تبادل الإشارات التي تعرفها مستقبلات الموضوع على سطوح الخلايا وتؤدي البيولوجيا الخلوية إلى اكتشافات هامة مثل نقل الجزيئات واستقبالها².

3- مرحلة الغدد الصم العصبية: ففي هذه المرحلة لا يقتصر البحث على الاتصالات داخل الخلايا وبين بعضها البعض، بل يتعدى ذلك إلى اتصالات الأعضاء مع بعضها البعض، وتعمل على تنظيم وتكامل النظام الكلي للإشارات المتبادلة بين الخلايا عن طريق جزيئات التي تقوم بوظيفة المنظمات السريانية (نسبة للسيرنيطيقا) والهيويوثلموس والغدد النخامية التي تقوم بوظيفة قائد، ولذلك فإن النظام السرياني للكائن العضوي يشكل الموضوع العام الناجم عن أبحاث عن الغدد الصم العصبية³.

4- الهندسة الوراثية أو تكنولوجيا الدنا : تعتبر هذه المرحلة أحدث مراحل الثورة البيولوجيا الحيوية الجديدة، تتيح لنا إعادة برمجة التفاعلات الجزئية و الخلوية المكتشفة خلال المراحل السابقة⁴. إن الأساس العلمي للهندسة الوراثية يعتمد على عدة فروع علمية أهمها بيولوجيا الجزئيات و الخلية و الكيمياء

¹-سعد محمد الحفار، البيولوجيا ومصير الانسان، المرجع السابق، ص26

²- سعد محمد الحفار، البيولوجيا ومصير الانسان، المرجع السابق، ص26

³- سعد محمد الحفار، البيولوجيا ومصير الانسان، المرجع السابق، ص26

⁴- ناهدة البقصي، الهندسة الوراثية و الأخلاق الكويت سلسلة كتب ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب 1993

الحيوية و علم الوراثة و علم الأحياء الدقيقة و علم النبات و علم الحيوان و علم المناعة و هندسة العمليات والكمبيوتر وتجهيز البيانات .

إن مسرح نشاط الهندسة الوراثية هو الخلية¹ التي تعتبر وحدة بناء الكائن الحي و هذه الخلية بمثابة دولة لها رئيس و لها نظام و لها مصانع إنتاج و تملك جيش دفاع ضد أي خطر يهددها و خطوط مواصلات تنقل الإنتاج إما بهدف الاستعمال الداخلي أو بهدف التصدير للخارج ، أما نوعيات المواد المصنعة بهذه المصانع فإنها تعد بالآلاف ، و يتحكم في نوعيتها و كميتها الرئيس الأعلى لدولة الخلية و هو الجينات² والتي تحمل المعلومات الوراثية الضرورية لبناء الجسم الحي هي المسؤولة عن كل ما تتوارثه من لون الشعر و العين و تشكل الأنف و طول القامة و نوع الشعر و كل الصفات الأخرى البسيطة و المعقدة على حد سواء، و عن طريقها يتم انتقال هذه الصفات من جيل إلى آخر³ . وهذه الجينات تتكون من الدنا DNA و ملقى على عاتق الجينات مسؤولية تنظيم الحياة داخل هذه الدولة المتناهية الصغر و الدقة والنظام.

لم تعد العلوم الطبية والبيولوجية تقف عند حدود محاربة الأمراض ومحاولة الحد منها ، بل تجاوز اهتمامها الاعتناء بالشخص المريض إلى تحسين الشخص السليم ليأخذ منحى النسلية وت تحول مهمة الأطباء و علماء البيولوجيا من تخفيف الآلام إلى "تصنيع الإنسان الأنموذج " في إطار المسح الطبي الوراثي الذي يجري للحوامل لتحديد الصفات الوراثية للأجنة ، للتعرف على صحة الجنين هكذا ساعد تطور تقنيات علم الوراثة الأطباء و علماء البيولوجيا من فك الشفرة الوراثية ، وبالتالي تحقيق الطموح الذي ظل يراودهم.

بعدما كانت تستخدم هذه التقنية الحيوية ، المتمثلة في الهندسة الوراثية، في المجالات الزراعية بغرض إنتاج كائنات معدلة وراثيا ، انتقل البحث فيها إلى الكائنات الحيوانية ، والخطوة الحالية التي يعمل الباحثون بخصوصها في مجال التقنية الحيوية هو نقل تكنولوجيا الهندسة الوراثية من المجال الزراعي والحيواني إلى المجال البشري، خاصة بعدما أستطاع علماء البيولوجيا فك الشفرة الوراثية، حيث تمكنوا من تطوير مناهج جديدة في التشخيص والعلاج مما يسمح للهندسة الوراثية بأن تكون مفتاحا يمكن

¹ - الخلية هي منظومة معقدة مضبوطة العدد في جزيئاتها و تفاعلها ووظائفها .محمد الكتاني أي مسؤولية أخلاقية تجاه الهندسة الوراثية حقوق الإنسان و التصرف في الجينات مطبعة المعارف الجديدة الرباط 1997 ص84

² - وجدي عبد الفتاح ،الجوانب الشرعية و القانونية لإستخدام الوسائل العلمية الحديثة في التحقيق الجبائي (مركز الدراسات و البحوث فهم الندوات و اللقاءات العلمية عمان الأردن 2007 ص87

³ -محمد الربيعي الوراثة و الإنسان مرجع سبق ذكره ص16

تكنولوجيا القرن الواحد و العشرين من منافسة تكنولوجيا المعلومات والمواد والطاقة ، كما ستلعب دورا رئيسيا أيضا في كثير من مجالات العلم و التكنولوجيا ، والاقتصاد مثل الطب ، الغذاء، الزراعة، و التصنيع.

لقد سمح لنا التقدم الهائل الذي أحرزته الهندسة الوراثية بالكشف عن الأمراض الوراثية التي يحملها الجنين في المراحل المبكرة من الحمل و ذلك بتحليل عينات من الدنا ADN ، و هو فحص يسمح بمعالجة هذه الأمراض أو اتخاذ قرار الإجهاض في حالة عدم وجود علاج لها فلا يوجد شخص يرغب في الحصول على طفل غير سليم يهمل عن قصد الإقلاع عن هذه الاكتشافات الجديدة، حيث تمكن العلماء عن طريق وسائل التشخيص المعتمدة على هذه التكنولوجيا من تشخيص العديد من الأمراض الوراثية، و هي مسؤولة عما يقرب من نصف عدد جميع وفيات الأطفال من ظهور تشوهات ثقب في القلب...إلخ، وتعود معظم هذه الأمراض في عوامل وراثية عديدة كالزيادة أو النقصان في تركيب الكروموزومات أو فقدان الكروموزوم الجنسي (ع)أو إلى بعض العقاقير والمواد الكيميائية ، كما يعمل الزواج بين الأقارب على زيادة انتشار هذه الأمراض ، لأنه يزيد من احتمالالتقاء المورثات الرديئة¹ و من الأمراض التي تمكن العلماء من تشخيصها قبل الولادة أعراض تلف المثانة، مرض الناعور(عدم تخثر الدم) بعض أنواع الهيكل العظمي فقر الدم المنجلي الأمراض الخاصة بالجهاز الدوري للقلب أو الأورام مرض التلاسيميا الرئيسية² MAJOR THALASSEMIA

هذا ما وصلت إليه الهندسة الوراثية في مجال تشخيص الأمراض الوراثية يجعل دورها في حياة الأجيال القادمة أكثر فعالية ستكون الوقاية من الأمراض ، أهم بكثير مما عليه الآن فعندما تتوفر وسيلة فعالة لتشخيص الأمراض الوراثية في الأجنة فإنه لن يولد طفل واحد في المستقبل مصاب بهذه الأمراض حيثمكن العلماء من اكتشاف إنزيمات التحديد التي تقوم بفحص ADN في مواقع محددة من جراحة الجينات، لتعبر وظائفها البيولوجية و تبديل الإمكانيات الوراثية للكائن الحي ، إما لتخليق صفات مرغوبة كالذكاء والنبوغ والموهب والملكات الفائقة ، أو لإضافة خاصية لم تكن تملكها من قبل كما يستعمل العلاج بالجينات في العلاج الأمراض الوراثية فمعظم الأمراض الوراثية هي نتيجة طفرات تشوش أو تخرب وظيفة إحدى البروتينات الأساسية ، و لمساعدة المريض ينبغي إدخال البروتين المفقود نفسه إلى

¹ جان روستن، الوراثة الإنسانية، تر. د خليل الجرب، بيروت، المنشورات العربية، ب ت ، ص 87

² -نوع من فقر الدم الشائع حول البحر الأبيض المتوسط و شرق آسيا و هو مجموعة أمراض وراثية تضطرب فيها تركيب الخضابات لعدم التوازن في إنتاج سلاسل الغلوبين جون روستان الوراثة الإنسانية ص 80

الجسم (فمثلا يمكن في حالة مرض الناعور إدخال العوامل المفتقدة التي تخثر الدم إلى دم عن طريق الحقن)، وإما إدخال المورثة اللازمة لتكون البروتين الناقص بطريقة تجعله يتألف في مركب واحد مع أنسجة المريض، ولكي تنجح هذه الطريقة لابد أن تربط المورثة أولاً بصبغيات المريض، وإلا فقد أو تحلل، و للقيام بهذا الربط يجرب العلماء هذه الطريقة بربط المورث المطلوب بصبغي أحد الفيروسات وحين يتكاثر هذا الفيروس في شخص ينقل كامل صبغياتنا إلى داخل نواة بعض خلايا هذا المريض فمن المفروض عندئذ أن نركب هذه الخلايا البروتين المطلوب، لكن لابد أولاً من تجنب أن تصبح هذه الخلايا مجموعة بالفيروس نفسه لذلك تستأصل من صبغي هذا الأخير المورثات اللازمة لتكاثره لتحقيق تأثيراته الممرضة¹.

هذا، وتوجد هناك أمراض وراثية أخرى ليست ناجمة عن غياب بروتين معين أو عدم قيامه بوظيفته بل ناتجة عن تأثيرات ممرضة لبروتين غير سوي ناتج عن مورث غير سوي، و هذا المورث يمكن من الناحية النظرية تجميده (توقيفه عن العمل)، و لكن لم يتوصل العلماء بعد إلى طريقة عملية لفعل ذلك.

في مجال المعالجة بالجينات نفسه، اكتشف العلماء دواء يتمثل في تلقيح القلب بجينات مأخوذة من خلية إنسان سليم و هكذا يصبح القلب المريض سليماً، دون نزع أو إجراء عملية جراحية له. إن آخر ما وصلت إليه تقنية المعالجة بالجينات هو محاولة علاج الشيخوخة والهدف من هذا العلاج إطالة عمر الإنسان، وهو الحلم الذي طالما راود البشر منذ زمن بعيد وقد يتحقق بعد أن تمكن العلماء من التحكم في الجينات التي ينمو من خلالها الإنسان، خاصة حين تمكنوا من صنع دواء للتحكم في الجينات يدعى DHEA² وهو عبارة عن أقرص جزئية يتناولها الشخص من أجل تعويض الخلايا التي تموت.

كما توصل العلماء أيضاً إلى فهم الطفرات التي تطرأ على بعض المورثات مما يجعل انقسام الخلية يفلت من زمام الرقابة، وهذا ما يدفع العلماء إلى محاولة التعرف على الآلية الجزئية المضبوطة التي تحول الخلايا الطبيعية إلى خلايا سرطانية و هذا يفتح المجال لمعالجة أفضل للسرطان.

إن معرفة وظائف بعض الجينات لا يبين لنا كيفية قيامها بهذه الوظائف عملياً، أي كيفية استخلاص الجينات الفاصلة بين ترميز البروتين وبين ظهور أعراض المرض و لهذا المعرفة الإنسانية تقترب من هذه المجالات، مما يثير المخاوف من إمكانية معرفة كل أسرار الحياة. لقد أتاحت تكنولوجيا الهندسة

¹-جان رويستان، الأمومة و البيولوجيات التركيبية، عدنان ط2 بيروت منشورات عويدات 1980 ص25

²-القناة الفضائية شريط علمي 5ème le journal de la santé

الوراثية إمكانية تحسين النسل وراثيا من خلال الوصول إلى المحتوى المعلوماتي للجينوم ، والعمل على تعديل واستبدال الجينات المصابة بأخرى سليمة ، وهذا تقاديا للأمراض الوراثية والمستعصية منها ، والتي لا يمكن معالجتها بعد الولادة فهذه التقنية الحيوية تستخدم لأغراض تطويرية أي أنها تستخدم في تعزيز صفات الإنسان الطبيعية حيث أتاحت هذه التقنية إمكانية انتقاء النسل حسب الطلب ، سواء من حيث الجنس ذكر أو أنثى أو فيانتقاء الصفات الوراثية المرغوبة للجنين كلون العينين، ولون الشعر ، والبشرة... إلخ بالإضافة إلى القدرات الجسمية والعقلية، وهذا عبر عنه فوكوياما قائلا : " أصبح بالإمكان اليوم إستولاد¹ أطفال حسب الطلب يتمتعون بقدرات ، ومواصفات خارقة إستجابة لرغبات الآباء الذين يقومون بانتقاء الصفات المرغوبة التي سيكون عليها أبناءهم"² . إن الإستيلاد breeding وتعني بالألمانية ZUCHTUNG، و هي اللفظة التي استخدمت لترجمة مصطلح داروين الانتقاء³

ج-التطبيقات الجديدة في مجال تحسين النسل و تأثيرها على المجتمع

استطاعت الوراثة حل مشاكل عديدة ومكنت الإنسان من اكتشاف خريطته الجينية، وإعداد طرف وعلاج قبل وقوع الخلل كما استطاعت الهندسة الوراثية أيضا حل مشكل عويص بإمكانه إنقاذ أسر من التفكيك بسبب العقم وذلك بحكم تقاليد المجتمع لأن الغاية من الزواج هي الإنجاب. ولكن إذا عجز أحد الزوجين فما هو البديل؟ وما هي الطريقة التي فعلتها الهندسة الوراثية في محاولتها للقضاء على هذه المشكلة، أو محاولة تقديم بعض الحلول الممكنة لها؟ و ما مدى مصداقيتها في المجتمع؟

تشمل الأدوات و التقنيات المستخدمة لتحقيق تحسين النسل في مجال محاربة العقم ما يلي ما يلي:

✓ **عمليات الإخصاب الاصطناعي:** حيث يتم اختيار البويضات والحيوانات المنوية ذات

الجودة العالية لضمان ولادة أطفال يتمتعون بصحة جيدة

✓ **التحرير الجيني:** وهي من أحدث التقنيات، وتتمثل في تعديل الجينات الوراثية بهدف

تصحيح عيوب جينية أو تعزيز صفات معينة، إلا أنها تثير جدلاً واسعاً نظراً لاحتمالية إساءة استخدامها.

✓ **الفحص الوراثي قبل الزواج أو الحمل :** الذي يهدف إلى الكشف المبكر عن وجود

طفرات أو أمراض وراثية محتملة، مما يسمح للأزواج باتخاذ قرارات مستنيرة فيما

1-فرانسيس فوكوياما مستقبلنا بعد البشرى عواقب الثورة التقنية الحيوية، تر إيهاب عبد الرحيم محمد مركز الإمارات للدراسات و

البحوث الإستراتيجية أبو ظبي 2006 ص111

2-فرانسيس فوكوياما، نفس المصدر ص 112

3-فرانسيس فوكوياما، نفس المصدر ص 115

يتعلق بإنجاب الأطفال.

✓ **العلاج الجيني:** الذي يسمح بالتدخل المبكر في المرحلة الجينية لعلاج بعض الأمراض الوراثية، وبالتالي تحسين فرص ولادة أطفال أصحاء.

✓ **التعديل الوراثي للخلايا الجينية (CRISPR-Cas9):** وهي تقنية متقدمة تتيح تعديل الحمض النووي للأجنة بدقة عالية لإصلاح الجينات المعيبة أو إضافة صفات مرغوبة، مما أثار آمالاً كبيرة لعلاج الأمراض الوراثية، ولكنه فتح أيضاً نقاشات أخلاقية واسعة حول إمكانية التلاعب بمستقبل البشر.

رغم هذه الإمكانيات الهائلة، إلا أن هذا التقدم العلمي يرافقه جدل أخلاقي وفلسفي عميق. إذ يطرح العديد من الباحثين والمفكرين أسئلة مصيرية حول "حدود" التدخل في الطبيعة البشرية" ومعايير اختيار الصفات المقبولة، بالإضافة إلى المخاوف من احتمال استخدام هذه التقنيات لأغراض تمييزية أو لتحقيق أغراض تجميلية بحتة، مما قد يؤدي إلى ظهور ما يسمى بـ "الطفل المصمم" Designer Baby ، وتفاقم الفجوات الاجتماعية بين من يملكون القدرة على تحسين نسلهم ومن لا يملكونها.

بناءً على ما سبق، يظهر أن تحسين النسل من منظور علمي يمثل سيفاً ذو حدين: فهو من جهة يحمل وعوداً عظيمة للحد من المعاناة البشرية وتحسين نوعية الحياة، لكنه من جهة أخرى يفتح الباب أمام تحديات أخلاقية واجتماعية وقانونية معقدة تتطلب حذراً شديداً في التعامل معها ويتخذ الإنجاب الإصطناعي عدة صور منها :

✓ التلقيح الإصطناعي Artificiel insémination

✓ الأم بالوكالة motherhood surrogate

✓ أطفال الأنابيب¹ Inveto fertilisation

1_ التلقيح الإصطناعي: وهو عبارة عن تلقيح الأنثى بواسطة وسائل طبية بسائل منوي تم جمعه ، إما من الزوج تسمى عملية الإخصاب الإصطناعي عن طريق متطوع ، أو يدمج سائل الزوج و المتطوع معا وهذا للتغلب عن عجز الزوج عن إخصاب بويضة الزوجة و لعل أول عملية إخصاب اصطناعي تمت على أساس طبي هي تلك التي كانت عام 1884 التحول الذي طرأ على التلقيح الإصطناعي أوائل السبعينات، هو لإنشاء بنك الحيوانات المنوية و هي فكرة نفذها أحد التجار الأمريكيين، والهدف من

¹- أحمد محمود صبحي و محمود فهمي زيدان في فلسفة الطب، دار النهضة العربية بيروت (د.ط) 1993 ص 152

ورائها هو الاحتفاظ بسائل منوي لمجموعة من العباقرة و قد ساعدت هذه الفكرة من وصول العلماء إلى طريقة يمكن أن يجمد بها السائل المنوي للحصول على أطفال عباقرة¹. ولكن التلقيح الصناعي لم يكن مقبولا من الناحية الأخلاقية و الاجتماعية لذلك لجأ الأطباء إلى طريقة أخرى ، تحل المشكلة هذه الطريقة المتمثلة في الإخصاب خارج الرحم أو الأم بالوكالة.

2- الأم بالوكالة : نلجأ إلى الأم بالوكالة إذا كانت الزوجة غير قادرة على الحمل بوضع الحيوان المنوي في رحم أنثى سوية ، وقد أعلن عن طفل أنابيب من جنين موهوب قام بهذا فريق "كارل وود" عام 1989²، وصل به التحدي إلى استئجار حاضنة الحمل والجنين ، والتي تسمى بالأم البديلة حيث تقوم بتأجير رحمها لأم عاقر.

شهد العالم لأول مرة في التاريخ الجدة البديلة ، وهي أول ولادة ينتج عنها ثلاثة توائم أنجبت "بات أنتوني" من جنوب أفريقيا أول ثلاث أحفاد ، وهم أطفال لابنتها بعد جراحة قيصرية في 1988³ و نظرا للتعقيدات الاجتماعية والدينية والقانونية لجأت إلى هذه الطريقة للتخفيف من حدة هذه المشكلات ، وهذا ما سينطبق على عملية الإخصاب خارج الرحم والتحول الذي طرأ على التلقيح الصناعي.

3- أطفال الأنابيب : ويعني الإخصاب خارج الرحم ، ففي الوقت الذي كان العلماء يتجادلون حول منع تطبيق وسائل الإخصاب الصناعي في الإنسان جاء فريق "إدوارد زوتسيتو" الإنجليزي بولادة أول طفلة الأنابيب "لويس براون" سنة 1978، و لكن كيف تتم هذه التقنية؟.

تتم هذه التقنية عن طريق بويضات ناضجة تؤخذ من المبيض بعد تنشيطه بواسطة حقن هرمونية وتوضع في أنبوب خاص يحتوي على سائل فيزيولوجي مناسب ، ثم نضيف إليه حيوانات منوية طازجة تترك حتى يحصل التخصيب ، وعندما تصبح النطفة الأمشاج⁴ ثنائية الخلية أو رباعية تنقل البويضات الملقحة عن طريق المهبل إلى داخل رحم المرأة⁵. ويمكن عزل نطفة الأمشاج وتخزينها في ثلاجة خاصة لفترات من الزمن تحت درجة حرارة معينة، يتم نقلها إلى رحم مستأجر في الوقت المناسب و هنا ظهرت مشكلة متى تقذف البويضة الملقحة اصطناعيا داخل الرحم، إن أغلب مراكز التخصيب

¹ - تاهدة البقسي الهندسة الوراثية و الأخلاق المجلس الوطني للثقافة والفنون و الآداب الكويت 1993 ص 84 و 85

² - محمد فتحي الإستنساخ نسخة منك دون أن تدري ط1 القاهرة دار الطائف للنشر و التوزيع 2003 ص 60

³ - المرجع نفسه ص 86

⁴ - هي البويضة الملقحة الناتجة عن إختلاط الحيوان المنوي بالبويضة (الجاعوني تاج الدين محمود الإنسان هذا الكائن العجيب عمان

الأردن دار عمار 1993 ج2 ص 150

⁵ - المرجع السابق ص 150

الاصطناعي تفعل ذلك في مرحلة الانقسام الخلوي الثاني أو الرابع ذلك أن مسألة علوق البويضة الملقحة في بطانة جدار الرحم هي من أدق المسائل وأعقدها أن نسبة نجاح هذا التخصيب لا يتعدى واحد إلى أربعة في أكثر المراكز توافقا و أصبح هذا النوع من الإخصاب خارج الرحم أمرا واقعا في العالم.

نستنتج مما سبق، أن علم الأجنة استطاع أن يقدم تسهيلات تجاوز بها الأطباء مشكلة العقم إذ تم إيجاد حل لذلك عن طريق الإخصاب الاصطناعي، و أطفال الأنابيب و عمليات زرع و نقل الأجنة (الأم بالوكالة) وكان لهذه التسهيلات صدى في الأوساط البشرية بحيث ظهرت شركات تروج لهذا النوع من الحمل مقابل مبالغ مالية طائلة هذا ما عرض القيم الأخلاقية ، والدينية لهزة عنيفة إذ أثرت تساؤلات كثيرة، و كنتيجة لهذا تباينت الآراء الأخلاقية بين مؤيد يرى في ذلك حلا لمشكلة العقم ، وطريقا لحفظ النسل البشري من الانقراض، ومعارض يصر على إيقاف هذا النوع من العبث بحيث تحول الأطفال إلى سلعة تتاجر بها الشركات ، مما جعل البعض يتساءل عن الحد الذي يمكن أن يقف عنده العلم إلا أن العلم لن يتوقف عند حدود معينة فهو اليوم يطل علينا بشيء جديد مستقبلا من الإخصاب الاصطناعي، و تطورات الهندسة الوراثية متمثلة في الجينوم البشري أي مشروع الخريطة الوراثية¹

2- التحديات الأخلاقية لتحسين النسل

شهدت فكرة تحسين النسل منذ نشأتها في أواخر القرن التاسع عشر الكثير من الجدل إذ ترتبط بمخاوف أخلاقية عميقة، تتعلق بالتمييز العنصري والطبقي و انتهاك حقوق الإنسان، والحريات الفردية، وبينما تطورت تقنيات تحسين النسل مع التقدم العلمي في مجالات الهندسة الوراثية و علم الجينات، ظلت التحديات الأخلاقية ترافقها بقوة فما هي الإشكاليات الأخلاقية المرتبطة بتحسين النسل، وما مخاطر التمييز العنصري والطبقي وما علاقة هذه المسألة بحقوق الإنسان والحريات الفردية؟

أ - مخاطر التمييز العنصري والطبقي

يمثل تحسين النسل سلاحا ذ و حدين، فمن جهة يمكن أن يؤدي إلى القضاء على الأمراض الوراثية وتحسين الصحة العامة، ومن جهة أخرى يحمل في طياته مخاطر كبيرة تتعلق بإعادة إنتاج أنماط التمييز العنصري والطبقي، مما يهدد المبادئ الأساسية للمساواة والعدالة الاجتماعية.

¹-محمد فتحي الإستنساخ نسخة منك دون أن تدري ط1 القاهرة دار الطائف للنشر و التوزيع 2003 ص 57

تعد قضية التمييز العنصري من أخطر التحديات المرتبطة بتطبيقات تحسين النسل، ففكرة انتقاء الصفات الوراثية قد تتحول بسهولة إلى ذريعة لتفضيل خصائص وراثية مرتبطة بأعراق معينة على حساب الأخرى. هذا الخطر يصبح أكثر حدة في المجتمعات التي تحمل في بنيتها الاجتماعية والثقافية ميولا عنصرية موروثية أو متجذرة وتبرز هنا إشكالية تحديد "المواصفات المثالية" ، إذ أن معايير الجمال، الذكاء والقوة البدنية ليست موضوعية بالكامل بل تتأثر بخلافات ثقافية وعنصرية، فإذا تم اعتماد معايير تستبعد صفات مرتبطة بأقليات عرقية معينة، فإن ذلك سيؤدي حتما إلى تكريس الإقصاء والتمييز ضد هذه الفئات.

ولقد شهد التاريخ نماذج مأساوية وأبرزها ما حدث خلال فترة الحكم النازي في ألمانيا حيث روج لفكرة "العرق الآري النقي" ، وتم تبرير جرائم الإبادة جماعية ، وبرامج تحسين نسل قسرية تحت ذريعة بناء مجتمع قوي وراثيا¹ ، ومثل هذه الأحداث تؤكد أن استخدام تحسين النسل بعيدا عن الأطر الأخلاقية والحقوقية قد يؤدي إلى كوارث إنسانية مدمرة ، وحركة تحسين النسل تتضمن تبلور التوجهات العنصرية².

بالإضافة إلى التمييز العنصري هناك خطر لا يقل ضررا عنه، ويتمثل في تعميق الفوارق الطبقة بين فئات المجتمع المختلفة. فيما أن التقنية متعلقة ومرتبطة بتحسين النسل كالتعديل الجيني ، أو الاختيار الوراثي للأجنة تعد باهظة التكلفة يقول فوكويا ما "إن قضية الهندسة الوراثية المحسنة للسلالة أو المخلة بها لا تزال قضية مفتوحة وسيكون الأطفال حسب الطلب باهضي التكلفة مع البداية ، وسيمثل خيارا للآباء الميسورين وحدهم ، وإمكانية أن يصبح هذا الأمر شائعا رخيص الثمن سيعتمد على معدل سرعة انخفاض تكاليف تقنيات مثل التشخيص قبل الانغراس ، فإن الفئة الغنية ستكون الأوفر حظا في الاستفادة منها في حين ستحرم الفئات الفقيرة من الوصول إليها.

هذا الوضع قد يؤدي إلى ظهور ما يسمى الطبقة الجينية المتفوقة ، وهي الطبقة التي تتمتع بخصائص بيولوجية محسنة كالذكاء، الجمال، والقوة البدنية، ومقاومة الأمراض مقارنة ببقية المجتمع ، ومع مرور الزمن، قد تتسع الهوة بين هذه الطبقة وبقية المواطنين الذين لم يتمكنوا من تحسين نسلهم مما يهدد أسس العدالة الاجتماعية، و يقوض مبدأ تكافؤ الفرص الذي يجب أن يحكم المجتمعات الإنسانية.

¹ دنيل كليغس، التاريخ العاصف لعلم الوراثة، تر، أحمد مستجير ، مصر ، القاهرة ، المكتبة الأكاديمية ، 1993، ص 26

² فرانسيس فوكوياما ، المرجع السابق ص 106

ويمكننا أن نلتمس بعض أوجه هذا الخطر في برامج تحسين النسل التي تبنتها بعض الدول الكبرى خلال القرن العشرين ، حيث سعت إلى الحد من تكاثر الفئات التي اعتبرت أقل قيمة سواء بسبب وضعهم الاجتماعي أو حالتهم الصحية أو خلقتهم العرقية وتم تطبيق برامج تعقيم قسري لمنعهم من الإنجاب¹ في الولايات المتحدة على سبيل المثال شهدت الفترة ما بين أوائل القرن العشرين ومنتصفه تطبيق قوانين تحسين قسرية في أكثر من 30 ولاية، حيث تم تعقيم أكثر من 60 000 شخص معظمهم من الفقراء أو ذوي الإعاقات الذهنية أو النفسية أو المنتمين لأقليات عرقية² وفي السويد خضع الآلاف لعمليات تعقيم دون موافقة حقيقية ضمن محاولة لتنقية المجتمع من الصفات غير المرغوبة وراثيا. وكان **جوليان هوكسلي** **Julian Huxley**³ أشار إلى مخاطر العلم الزائف الذي تمثله النظرية النازية العنصرية. هكذا فإن هذه الوقائع التاريخية تبرز أن غياب الضوابط الأخلاقية، والاستهانة بالحقوق الأساسية للأفراد قد تتحول تقنيات تحسين النسل إلى أدوات قمع وتمييز خطيرة بدلا أن تكون وسائل لتحقيق التقدم والرفاه البشري.

ب- انتهاك حقوق الإنسان والحريات الفردية

قد يتعارض تحسين النسل في كثير من الأحيان مع المبادئ الأساسية لحقوق الإنسان والحريات الفردية مما يطرح تحديات قانونية وأخلاقية معقدة فبينما تهدف برامج تحسين النسل إلى تحقيق منافع صحية عامة إلا أن استخدامها دون مراعاة الحقوق الفردية قد تم استخدامها دون مراعاة الحقوق الفردية قد يؤدي إلى انتهاكات خطيرة لكرامة الإنسان وحرية.

تعتبر الحرية الشخصية من أبرز حقوق الإنسان الأساسية وهي تتضمن لكل فرد حرية اتخاذ القرارات المتعلقة بحياته الخاصة و بما في ذلك قرارات الإنجاب يؤكد فوكوياما : أن ليس علينا أن نقبل هذه المستقبلات تحت شعار كاذب للحرية ،حرية حقوق تكاثر لا تحد أو حرية بحث علمي بلا حدود فليس علينا أن نعتبر أنفسنا عبيد التقدم التكنولوجي لا يخدم غايات الإنسان بعد فرض معايير وراثية معينة أو التدخل في الخيارات الإنجابية للأفراد مساسا صريحا بهذا الحق فمثلا عندما يتم تشجيع الأفراد أو إجبارهم سواء بوسائل قانونية أو ضغوط اجتماعية أو اقتصادية على اللجوء إلى تحسين النسل لاختيار صفات وراثية معينة لأبنائهم فإن ذلك يقيد حرية الإنسان في اتخاذ قراراته الخاصة بشأن نسله و مستقبل

¹موسى الخلف ، العصر الجينومي ، استراتيجيات المستقبل البشري ص182 183

²JEAN NOEL MISSA ,CHARLES SUSANNE ,DE L'EUGENISME DE L'ETAT A L'EUGENISME PRIVE ,DEPARTE MENT DE BOOK,UNIVERSITE,1999,paris ,p17

³جوليان هوكسلي 1887-1975 عالم أحياء و فيلسوف إنجليزي JULIAN HUXLEY

عائلته و تزداد خطورة الأمر إذا ارتبطت هذه الضغوط بايديولوجيات تسعى إلى فرض نموذج مثالي للإنسان.

تشدد المواثيق الدولية على مبدأ المساواة و عدم التمييز ،وتنص على أن لكل إنسان الحق في أن يعامل بكرامة واحترام بغض النظر عن صفاته الجينية أو مكوناته البيولوجية ¹. مع ذلك فإن تطبيقات تحسين النسل تحمل في طياتها مخاطر خلق مجتمعات تميز بين الأفراد استنادا إلى معايير جينية تفضل من يتمتعون بصفات محسنة وراثيا و تحط من شأن أولئك الذين لا يمتلكونها ،هذا النوع من التمييز الجيني قد يؤدي إلى ظهور أشكال جديدة من الإقصاء الاجتماعي بما يهدد وحدة المجتمع وتماسكه ويزرع بذور التفرقة والانقسام على أسس غير قانونية وغير إنسانية.

تؤكد المبادئ الحقوقية العالمية على قدسية الجسد الإنساني وحرمة المساس به دون إرادة حرة، ومستنيرة من صاحبه، و في إطار تحسين النسل تظهر تحديات خطيرة عندما تجري تعديلات جينية على الأجنة الذين بطبيعتهم لا يستطيعون إبداء موافقتهم أو رفضهم و هذا ما يطرح تساؤلات أخلاقية جوهرية حول من يملك الحق في اتخاذ قرارات جذرية تمس الهوية الجينية لشخص لم يولد بعد . وهل يمكن اعتبار هذه التعديلات اعتداء على السلامة الجسدية وحق الفرد في أن يختار نفسه؟

إن الأمر يتعد أكثر عندما تكون التعديلات الجينية دائمة ² وقابلة للانتقال إلى الأجيال اللاحقة مما يعني أن القرار لا يؤثر فقط على الفرد المعني بل على ذريته المستقبلية أيضا ، حيث لمح هتلر في كتابه " كفاحي " إلى "أن كل من ليس سليما و جديرا من الناحيتين النقية والجسدية أن يورث لأطفاله ما يعانيه " حتى كان يحلم بما يسميه "استياد النخبة لتحسين النوعية الوراثية ". ولقد أجريت في عهده عملية تعقيم 400 ألف شخص بواسطة أشعة x تحسين حتى لا يرث عنهم الأجيال اللاحقة في نظره ما يسميه بالصفات الدنيا إلا أن هزيمته في الحرب العالمية الثانية أسقطت نظريته العرقية العنصرية ³.

إن ربط جينات بعض الأفراد بالمشاكل الاجتماعية ثم الادعاء بضرورة التدخل في معالجتها بيولوجيا وذلك بالتحكم في عملية الإنجاب من أجل الحد من هذه المشاكل حتى أنه دفع إلى تدخل الدولة "التحكم القسري" في الإنجاب تنفيذاً لأهداف تحسين النسل، هذه السياسة المنتهجة أدت ما بين 1900 و1910 إلى

¹الإعلان العالمي لحقوق الإنسان 1948 المادة 01 و 02 تؤكد على مبدأ الكرامة المتأصلة لجميع أعضاء الأسرة البشرية و على حقهم في الحرية و المساواة و عدم التمييز

²فرانسيس فوكوياما ،المرجع السابق ص 176

³اللجنة الاستشارية المعنية بالبحوث الصحية و الجينومات و الصحة في العالم، تر أحمد مستجير. منظمة الصحة العالمية، المكتب

الإقليمي للشرق الأوسط، القاهرة، د.ط 2004 ص 193

تعقيم عشرات الآلاف من النساء في السويد و الولايات المتحدة الأمريكية إجباريا وبعض منهن وج هن قسرا إلى عملية الإنجاب حيث منعن من حرية الاختيار في طريقة الإنجاب وزمنه حتى نوع المولود، فمن واجب الدولة وسياستها والداعين إلى تحسين النسل إلى احترام حق الافراد والنساء منهم خاصة حرية الإنجاب .

* موقف المواثيق الدولية من إشكالية تحسين النسل

تسعى المواثيق و الاتفاقيات الدولية إلى وضع حدود أخلاقية و قانونية صارمة لاستخدام تقنيات تحسين النسل والتدخلات الجينية . حيث تؤكد ديباجة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان 1948، وبخاصة مادتيه الأولى والثانية على مبدأ الكرامة المتأصلة لجميع أعضاء الأسرة البشرية وعلى حقهم في الحرية والمساواة و عدم التمييز . وتنص مواثيق منظمة اليونسكو بشأن حقوق الإنسان والبيولوجيا 1997 على أن مصالح و رفاه الفرد يجب أن تكون لها الأولوية على مصلحة المجتمع أو العلم أو الدولة وتشدد على منع التدخلات الجينية التي تهدف إلى تحسين النسل البشري بشكل يؤثر على الأجيال المستقبلية . كما حذر إعلان الأمم المتحدة بشأن الجينوم البشري و حقوق الإنسان 1997 من استخدام الجيني في أعراض تمييزية أو انتهاك لكرامة الإنسان. كل هذه النصوص تؤكد أن التقدم العلمي يجب أن يسخر لخدمة الإنسان وليس لتحويله إلى موضوع تجارب أو مشروع تحسين بيولوجي يخضع لمعايير مادية أو سياسية.¹

يشهد العالم اليوم تطورا سريعا في مجالات البيولوجية الجزيئية، ما يفتح آفاق واسعة أمام تطبيقات تحسين النسل ومع ذلك فإن هذا التقدم يرافقه عدد من التحديات الأخلاقية والاجتماعية والقانونية التي تتطلب انسجامها بتخطيط دقيق و رؤية شاملة لحفظ كرامه الإنسان ، وتضمن عدالة الاستفادة من هذه التطورات. ولهذا تفرض الابتكارات التقنية في مجال تحسين النسل ضرورة تطوير أطر قانونية وأخلاقية شاملة تتضمن تنظيم استعمال هذه التقنيات ضمن حدود تحترم حقوق الإنسان ولا يسمح بحدوث تجاوزات خطيرة. إذ يجب سن قوانين محلية ودولية تضبط عمليات التعديل الجيني لتحسين النسل وتحدد بدقة ما هو مسموح به ، وما هو محظور خاصة فيما يتعلق بالتعديلات القابلة للتوريث وينبغي أن تستند هذه القوانين إلى مبادئ أساسية مثل احترام الكرامة الإنسانية، والعدالة، و الحرية الفردية، والحفاظ على التنوع البيولوجي البشري وعدم السعي إلى خلق "نموذج مثالي للإنسان".²

¹- رجا بهلول، خطاب الكرامة و حقوق الإنسان، المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات، قطر، 2017، ص29
²-فرانسيس فوكوياما، مستقبلنا بعد البشري، عواقب الثورة التقنية الحيوية، المصدر السابق، ص176

إن تفعيل هذا المسعى يمر أساساً من إنشاء هيئات رقابية مستقلة مكلفة بمراجعة ومراقبة الأبحاث والممارسات المتعلقة بتحسين النسل، وضمان شفافية العمليات و خضوعها للمساءلة . ولا يمكن معالجة قضية تحسين النسل بالقرارات العلمية و السياسية وحدها بل يجب أن تكون ثمرة حوار مجتمعي واسع و شامل يشارك فيه مختلف الفاعلين الاجتماعيين ، حيث ينبغي إشراك علماء الأخلاق الحيوية ، وعلماء الاجتماع، والقانونيون، والأطباء، وعلماء الدين إلى جانب ممثلي المجتمع المدني لبلورة سياسات تحترم جميع الحساسيات الثقافية و الاجتماعية.

على هذا الأساس، من المهم تنظيم نقاشات مفتوحة وشفافة مع الجمهور¹ حول الفوائد والمخاطر المحتملة لتحسين النسل بما يعزز الوعي ويكسر الصور النمطية التي قد تروجها بعض الخطابات الإعلامية أو التجارية. يجب أن يأخذ الحوار المجتمعي بعين اعتبار خصوصيات كل مجتمع بما في ذلك معتقداته الدينية و قيمه الأخلاقية لضمان سلامة القرارات المتخذة للبيئة الاجتماعية المحلية . إن توعية المجتمع بحقوقه الجينية وتعريفه بمخاطر التمييز الوراثي يساعد الأفراد على اتخاذ قرارات مستنيرة ويحول دون انجرارهم وراء ضغوط تجارية أو ثقافية قد تضر بحقوقهم الأساسية.

يمكن أن نقول أن مشكلة تحسين النسل تشكل تحدياً حقيقياً للضمير الإنساني، إذ يفرض هذا المجال الناشئ ضرورة تحقيق توازن بين السعي لتطوير القدرات البشرية من خلال الاستفادة من التقدم العلمي وبين احترام الكرامة الإنسانية والحقوق الأساسية لكل فرد. كما أن الطموح نحو مجتمع خال من الأمراض الوراثية أو معزز بالصفات المرغوبة يجب ألا يكون مبرراً للانزلاق وراء ممارسات تمييزية أو انتهاكات أخلاقية فالكرامة الإنسانية تقتضي أن يتمتع كل شخص بغض النظر عن صفاته الوراثية بحق مساو في الاحترام، والفرص، وأمام تسارع التطورات في مجال الهندسة الوراثية، وتقنيات تحسين النسل يصبح من الملح تأكيد المبادئ الأخلاقية، والقانونية لخطوط حمراء لا يجوز تجاوزها كما أن غياب إطار تشريعي وأخلاقي واضح قد يفتح المجال أمام استخدامات خطيرة تقوض مبدأ العدالة والمساواة داخل المجتمعات لذلك لا بد من وضع رؤية شاملة تتضمن تشريعات محكمة تراعى ، وتوجه استخدام هذه التقنيات، بهذه المقاربات المتعددة والمتكاملة يمكن أن تستفيد المجتمعات من إنجازات العلم دون التفريط في المبادئ التي تحمي إنسانيتها²

ج- الطابع النقاشي لمشكلة تصميم الأجنة و تحديد الصفات الوراثية

¹ هيرماس، مستقبل الطبيعة الإنسانية الليبيرالية: نحو النسالة الليبيرالية، تر جورج كتورة، لبنان، المكتبة الشرقية، ص 106
² ناهدة البقسيمي، الهندسة الوراثية و الأخلاق، المرجع السابق، ص 214

تعد مسألة تصميم الأجنة وتحديد الصفات الوراثية من أبرز القضايا الجدلية في الفلسفة الأخلاقية والتطبيقية في الأزمنة المعاصرة؛ هذه المشكلة التي تجمع بين الاعتبارات الأخلاقية والعلمية والاجتماعية أصبحت محور نقاشات متعددة الأطراف . وهذا بالنظر إلى ما يثيره هذا الموضوع من أسئلة تتعلق بحدود التدخل البشري في الطبيعة، والمفهوم الأخلاقي للحرية، والعدالة الاجتماعية.

يثير تصميم الأجنة مسألة أخلاقية شائكة، حيث يعتقد **مكايل ساندل** أن التلاعب بالصفات الوراثية للأجنة يتجاوز الحدود الأخلاقية لأنه ينطوي على رغبة الإنسان في السيطرة المطلقة على الطبيعة. يرى ساندل أن هذا التدخل يؤدي إلى تفويض مفهوم القبول غير المشروط للأطفال بوصفهم هدايا غير قابلة للتفاوض وهو ما يطلق عليه "أخلاقيات ال مهنة"¹. في حين يدافع **بيتر سنغر** عن تصميم الأجنة باعتباره امتدادا للحرية البشرية، حيث يتيح للإفراد اختيار حياة أفضل لأطفالهم بربط موقفة بمبدأ المنفعة القصوى إذ يرى أن تحسين الصفات الوراثية يمكن أن يقلل من المعاناة ويزيد من السعادة العامة

من الناحية العلمية أيضا، يثير تصميم الأجنة تساؤلات حول حدود المعرفة البشرية ، وإمكانية التنبؤ بنتائج التعديلات الجنسية ، على سبيل المثال قد تكون التعديلات على جنين معين لتحسين صفة محددة مرتبطة بتأثيرات جانبية غير متوقعة ، حيث أشار فرانسيسكو لينز إلى أن التدخل في الجينات ليس دائما خاليا من المخاطر وأن هناك حاجة إلى مزيد من البحث لفهم التعقيدات الوراثية². علاوة على ذلك، فإن التقدم في تقنية crispr-cas9 التي تستخدم لتعديل الجينات بدقة يثير تساؤلات حول ما إذا كانت هذه التكنولوجيا ستظل في متناول الجميع أم ستصبح امتيازاً للأثرياء فقط

هذا يفتح الباب للنقاشات حول العدالة الاجتماعية فإذا اقتصر الوصول إلى تقنيات تعديل الجينات على الفئات الغنية قد يؤدي ذلك إلى تعميق الفجوات الاجتماعية والاقتصادية وهنا يطرح **جون رولوز** في كتابه نظرية في العدالة الذي ينص على أن اللامساواة الاجتماعية والاقتصادية تكون مبررة فقط إذا كانت تعود بالنفع على الأقل حظا في المجتمع . وفقا لهذا المنظور ، إن استغلال تقنية تصميم الأجنة لتحقيق امتيازات إضافية للأثرياء يعتبر أمرا غير أخلاقي لأنه يخلق نوعا جديدا من التمييز البيولوجي مما يعيد إحياء أشكال تمييز قديمة في صورة جديدة.

¹مكايل ساندل، ضد الكمال أخلاقيات الهندسة الوراثية، تر أحمد شوقي إبراهيم ،مؤسس كلمة هيئة ،أبو ظبي للسياحة و الثقافة 2014ص40

²جون رولوز، نظرية في العدالة ، ترجمة سعيد الغاملي ، دار المنى 1999 ص 83

إن ما يجعل مشكلة تصميم الأجنة ذات طابع نقاشي هو غياب إجماع واضح يحدد موقفا منها، وهذا ناجم عن تضارب بين القيم الأخلاقية مثل الحرية الفردية ، والعدالة الاجتماعية من جهة، وبين الأولويات العلمية والتقنية من جهة أخرى. حيث كثيرا ما تتنافى القضايا الأخلاقية مع التحديات التقنية والواقع الاجتماعي. وبناء على ما سبق، يتضح لنا أن مشكلة التعديل الجيني ليست مجرد مسألة تقنية يمكن حلها بالعلم وحده بل هي مسألة فلسفية عميقة تتطلب توازنا دقيقا بين القيم الإنسانية المختلفة.

تتمثل مشكلة تصميم الأجنة وتحدّي الصفات الوراثية في التدخل البشري المعتمد لتعديل الحمض النووي للأجنة بهدف تحسين صفات معينة أو التخلص من صفات أخرى غير مرغوب فيها هذه التقنية أصبحت ممكنة بفضل تقدم علم الجينيات وخاصة تقنية crispr-cas9 تطرح العديد من التساؤلات الأخلاقية والعلمية والاجتماعية. إن المشكلة الأساسية تكمن في التوتر بين التقدم العلمي الذي يسمح بتحقيق فوائد محتملة مثل القضاء على الأمراض الوراثية وبين المخاطر الأخلاقية والاجتماعية التي قد تترتب على هذا التدخل مثل انتهاك القيم الإنسانية الأساسية ، حيث يقول **فوكوياما** في هذا السياق ما يلي: "الهندسة الوراثية قد تخلق مجتمعا منقسما إلى طبقات بيولوجية، حيث يصبح الأغنياء أكثر تفوقا من البقية من خلال تحسينات جينية".¹

في مقابل ذلك، يرى **بيتر سينغل** أن تصميم الأجنة يمكن أن يستخدم لتحسين جودة الحياة وتقليل المعاناة البشرية من منظور أخلاقي نفعي إذا كان بالإمكان استخدام التكنولوجيا لتحسين الأمراض الخطيرة والألم فهذا مبرر تماما إذ يعتبر سينغل أن التدخل في الجينات شكل من أشكال الحرية الفردية بحيث يمكن الآباء اختيار مستقبل أفضل لأطفالهم يقول سينغل² "إذا كنا قادرين على تقليل المعاناة البشرية من خلال جينات التعديل فإننا ملزمون أخلاقيا بالقيام بذلك طالما أن التدخلات آمنة " يؤمن جوليان سافوفوليسكو أن تحسين الصفات الوراثية ليس فقط خيارا بل قد يكون واجبا أخلاقيا فكلما زادت قدرتنا العلمية زادت مسؤوليتنا في استخدامها لتحسين البشرية " إذا كان بإمكاننا تقليل الأمراض الوراثية وزيادة الذكاء أو الصحة فإن ذلك يعزز رفاهية الإنسان فيقول " إن اختيار أفضل الأجنة من منظور وراثي يعزز حياة الطفل المستقبلية فهذا واجب أخلاقي للآباء "³ يؤيد العديد من العلماء استخدام تعديل الجينات لمكافحة الأمراض الوراثية مثل التليف الكيسي . يدعم **فرانسيس كولنز**، المدير السابق لمعهد

¹-فرانسيس فوكوياما، نهاية الإنسان، عواقب الثورة البيوتكنولوجية، تر أحمد العسي، دار الكتاب 2005، ص 89

²-مكايل ساندل، ضد الكمال أخلاقيات الهندسة الوراثية، تر أحمد شوقي إبراهيم، مؤسس كلمة هيئة، أبو ظبي للسياحة و الثقافة

2014ص58

³-جوليان سافوفوليسكو، لغة الحياة، تر عادل زكريا، دار الشروق ، القاهرة، مصر ص 415

الصحة الوطني الأمريكي ، البحث في هذا المجال لكنه يوصي بالحذر عند استخدامه لأغراض تحسين صفات غير مرتبطة بالأمراض يقول " إن القضاء على الأمراض الوراثية باستخدام تقنية CasperCas9 هو تقدم متصل بحمل إمكانات هائلة".

إن محاولة السيطرة الكاملة على الطبيعة البشرية يقلل من احترامنا للإنسانية ، إذ أن التدخل في الجينات ينتهك من أخلاقيات هذه الطبيعة ولهذا ينبغي، في معظم الأحيان، تقبل الأطفال كما يولدون دون التدخل في بنيتهم الجسدية، لأنهم في الحقيقة ليسوا منتجات قابلة للتخصيص ، والتعديل، والصناعة، فالسعي إلى تحقيق الكامل البشري دون أي ضابط أخلاقي قد يهدد القيم الأخلاقية التي ثمنتها البشرية والتي صنعت الحضارة الإنسانية، على الرغم من النقائص التي مازالت تعاني منها.

يعارض فوكوياما التدخل في الطبيعة البشرية بشدة محذرا من أن من تغييرها من خلال الوصول إلى تحسينات جينية لا يستطيع الفرد تحمل تكلفتها . هذا التلاعب الجيني قد يؤدي إلى تمييز اجتماعي أعمق مما هو موجود، بل أكد أن تعديل الجينات قد يؤدي إلى انقسام المجتمع إلى طبقات بيولوجية ، حيث يتمتع البعض بامتيازات ليست متاحة للآخرين¹، كما أن تصميم الأجنة قد يؤدي إلى عواقب غير متوقعة ، مثل ظهور طفرات جينية جديدة أو تأثيرات جانبية لا يمكن التنبؤ بها .

يمكن القول، تظل مسألة تصميم الأجنة وتحديد الصفات الوراثية إشكالية مفتوحة ، وتخبرنا بمدى أهمية النقاش الفلسفي، وضرورته في توجيه التقدم العلمي والتقني ،لوضع إطار أخلاقي يوازن بين الحرية الفردية والعدالة الاجتماعية ، وفي هذا الصدد يقول فوكوياما: " علينا أن نكون حذرين من أن التقدم العلمي قد يدفعنا إلى التخلي عن المبادئ الأساسية التي تشكل إنسانيتنا " ². إذ يؤكد فوكوياما أن الهندسة الوراثية المحسنة للسلالة أو المخلة بها قد تصبح يوما واسعة الانتشار لدرجة أن تؤثر في الطبيعة البشرية كما تسبب في قدر هائل من الخلاف لأنها تتحدى مفاهيم راسخة عن المساواة بين البشر وعن القدرة على الاختيار الأخلاقي ، وستغير فهمنا الشخصية والهوية البشرية ، وأكثر المخاوف شيوعا في هذا الصدد أن تؤدي فكرة تحسين الصفات الجسمية والفكرية للأجيال اللاحقة تصادم اجتماعي وأخلاقي وديني نتيجة للأطروحات الرامية إلى تحسين البشر وراثيا ، وبين العقائد الدينية المسيحية و الإسلامية خصوصا التي تؤمن يقيناً بلأن الله خلق الإنسان فقط على صورته³ .

¹Fukuyama ,our posthuman future consequences of the biotechnologies farrarestruis and geraux 2002 P54

²Fukuyama ,our posthuman future consequences of the biotechnologies farrarestruis and geraux 2002 P54

³فوكوياما ، مستقبلنا بعد البشري ، عواقب الثورة التقنية الحيوية ، مصدر سابق ، ص 116

إن الكرامة الإنسانية قيمة ذاتية تجعل الفرد يشعر بالمساواة مع الآخرين بوصفه إنساناً، وليس لشيء آخر، وهي القيمة التي تجعله محل استحقاق الاحترام والتقدير، إذ أنها المعيار الذي يعامل الناس من خلاله هي مبدأ تعبر كل فرد بصور غريزته بحقيقته و يفوته حتى وإن اختلفنا في مضمونه فهو يتعلق بجوهر الإنسان و من ثم فالكرامة الإنسانية تتطلب عدم معاملة الإنسان كشيء أو كوسيلة وإنما يجب الاعتراف به كصاحب حق¹. وفي الواقع، تعتبر كرامة الإنسان حقاً من حقوق الإنسان لكن قيمتها لا تقتصر على كرامة كل فرد فقد اعتبر KANT كرامة الإنسان ليس فقط كقيمة لحقوق كل فرد، ولكن كقيمة للإنسانية، وهي قيمة عالمية تنتمي إلى البشرية جمعاء². وبالتالي الكرامة الإنسانية ليست ببساطة قيمة حياة كل فرد وإنما الكرامة هي القيمة الخاصة بالبشر كنوع، وهي أيضاً قيمة الطبقة البشرية بأكملها.

لقد توصلت الهندسة الوراثية لمعرفة إلى معرفة التركيب الوراثي للبشر وهي تحاول من خلال فك الرموز الوراثية أن تصل إلى التحكم في هذه وقد استطاعت حتى الآن أن تحقق بعض الإنجازات ذات الفائدة العظيمة على البشرية فتقنية تجزئة الموروثات وإعادة تركيبها أعظم انتصار حققته الإنسانية و لكن هذه التقنية تحمل في طياتها بعض المخاطر الكامنة التي لا تستطيع نشأتها فحسب فمثلاً ما حدث في الخمسينات من هذا القرن حيث كانت الحكومة الأمريكية تجري بحوثها في مختبراتها أنواع الجراثيم المسببة للأوبئة مثل الطاعون و الجدري و غيرها من الأمراض و قد كان الهدف من هذه التجارب تأثيرها على الناس للاستفادة منها في الحروب الجرثومية إيقاف هذه التجارب علناً في عام 1969³ بسبب إصابة المتطوعين، رغم الإيجابيات التي حققتها تطبيقات علم الأحياء المعاصر والهندسة الوراثية خاصة إلا أن هناك الكثير من المشكلات القانونية التي خلفها هذا العلم بتطويره التطبيقات الهندسية ففي مجال التلقيح الاصطناعي، أثار عدة أسئلة قانونية فإن النطفة المنوي من غير الزوج، هل للزوج حق الاعتراض وهل تعتبر زانية؟ من كان الوالد الشرعي للطفل؟ وكيف هي الحال بالنسبة للميراث؟⁴

على القانون أن يتساءل عن النتائج الخطيرة الناجمة عن المعرفة و الوسائل الخاصة للنسخ قد تكون لشخص ذي ذكاء متفوق أو غباء بالتالي يكون هذا العلم قد ميز بين طبقتين من البشر خلقهما هو،

¹قواز صلاح، مبدأ احترام الكرامة الإنسانية في مجال الأخلاقيات الحيوية، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية و القانونية، المجلد 27، العدد 01، 2011، ص 252

²NOBUO KURATIN WHAT IS HUMAN DIGNITY ?BIOTECHNOLOGIE AND HUMAN DIGGNTY,THE ANNUEL REPORT OF ON CULTURAL SCIENCE VOL118 P 40

³ناهدة البقسي، الهندسة الوراثية و الأخلاق، المرجع السابق، ص 229 230

⁴زيادة أحمد سلامة، أطفال الأنابيب بين العلم و الشريعة، تر، عبد العزيز الخياط، دار العربية للعلوم، الأردن، 1994، ص 69

وبالتالي طغيان فئة على أخرى ، هل من حق علم الهندسة الوراثية وضع أجنة متعددة و متطابقة في كل شيء تكون نسخا جينية من شخص معين ، لقد إتخذ رجال القانون موقفا صارما من صفات الثورة البيولوجية لأنها ستوقع الإنسان في مشاكل كان سيكون في غنا عنها لهذا وضعت مواد و نصوص للحد من هذه التجارب فمثلا انتشار بيانات للشفرة الوراثية للإنسان سيشكل تعديا على حق الفرد في السرية ذلك أنه حالة وقوع جريمة سيلجأ المنجرون إلى التفتيش في نماذج DNA المخزنة¹ نجد في القانون المدني الجزائري من المادة 154 نصا على أنه لا يمكن إرغام الزوجة على فعل ما لا ترضاه . كما طرحت إشكالية "إجارة الأرحام" الأم البدئية، وهي الأحق بالمولود فهل هي صاحبة البويضة أم صاحبة الرحم وقد اختلفت الإجابات عن هذا السؤال، حيث أن أغلب القوانين الدولية تعتبر أن صاحبة البويضة هي الأم الحقيقية².

في عام 1979 وصفت ولاية إيلنوي أول قانون مفصل يتعامل مع طفل الأنابيب و قد حمل الطبيب المسؤولية القانونية و العرقي لمثل هذا العمل ووضعه تحت طائلة القانون 1877 في حالة إساءة استغلال الطفل أو إساءة التعامل مع الطفل³. إن البشرية اليوم تواجه أخطارا داهمة في ظل تطور تقنيات الهندسة الوراثية لاصطدامها مع حقوق الإنسان، و ذلك لسوء استغلال هذه التقنية الحديثة فظاهرة التفكير في تحسين النسل مثلا، بناء على الهندسة الوراثية، قد تكون نابعة من التعصب لمبدأ حقوق الإنسان، ولو لم يتم ربط هذه التقنية بضوابط صارمة فإنها يمكن أن تؤدي بكل القيم الإنسانية والأعراف الأخلاقية النبيلة⁴.

لعل من أبرز مظاهر الانحراف لفكرة تحسين النسل هو أن تحسين الجنس البشري في مفهومه لا يعني تحسين الجنس البشري بأكمله، وإنما يعني العمل على تحسين و تطوير الأجناس الأكثر صلاحية إثراء لفكرة الطبقية في الأجناس، ودعما لسيادة الأجناس المتفوقة و إثر هذا الكم الهائل من الأخطار، أثارت ضجة عالمية واحتجاج واسعة النطاق على تجارب الهندسة الوراثية المتعلقة بتعديل صفات الإنسان والتلاعب بالموروثات والخلايا التناسلية، اشتركت في هذه الاحتجاجات الكنيسة وجمعيات حقوق الإنسان و غيرها، مما يعكس مدى خطورة إجراء مثل تلك العمليات على الإنسان فقد ذكر الباحث **عارف علي عارف** أخطار الهندسة الوراثية قائلا " من مفاصد الهندسة الوراثية التلاعب بالجينات البشرية، و في حالة إعادة تركيب مادة الدنا DNA عن طريق إضافة أجزاء هذه المادة

¹ إريك البندر **بصمة الدنا. الشفرة الوراثية للإنسان**. أحمد مستجير المجلس الوطني للثقافة والفنون و الآداب الكويت 1997 ص 229

² - نصر الدين مبروك، **التلقيح الإلصق في القانون المفارق و الشريعة الإسلامية** مجلة المجلس الإسلامي الأعلى ص 222

³ - جيروم باندي **أين القيم** مرجع سبق ذكره ص 238

⁴ - محمد المرسي زهرة ، **مؤتمر الهندسة الوراثية بين الشريعة و القانون**، مرجع سبق ذكره ص 204

لكائنات أخرى ولكن سلوك الترائيب الجديد لا يمكن التنبؤ به لأجل ذلك فإن محاولات العلماء تلك تدخل في دائرة المحرمات يسعهم لتغيير التركيب الوراثي للإنسان، وتحويله إلى كائن ذي صفات خاصة، بحيث يؤثر على طبيعته، وذكائه و سلوكه ومن ثم يصبح إنسانا عدوانيا و مسلوب الإرادة.

الفصل الثاني:

تحسين النسل بين الموقف الفلسفي و الديني

1-تحسين النسل من منظور فلسفي:

يواجه العلم اليوم تحولا جديدا في مجال القيم والمرجعيات، حيث أحدثت تقنيات الهندسة الوراثية الجديدة خيارات عديدة وفتحت إمكانات واعدة أمام إنسان الألفية الثالثة وأتاحت له فرصا جديدة لإطالة العمر، وكل ما يمكنه من الصحة والجمال والسعادة وما يحقق له حياة أفضل وأسمى بل وأصبح بإمكانه التحكم في الخريطة الجينية وتوجيهها نحو تحقيق نسل أرقى من خلال التعديل الجيني للعيوب الوراثية بل تعدى الأمر استقطاب العيوب وعلاج الأمراض إلى انتقاء أحسن الخصائص والصفات وتشجيع إنجاب الأفراد لأكثر كفاءة، وفي المقابل أدت إلى ظهور تعقيدات أخلاقية صعبت مهمة تحقيق إجماع أخلاقي حول تداعيات الحدث التقني عامة، ومشكلة تحسين النسل بشكل خاص.

أ- النظرة الليبرالية والنفعية لتحسين النسل

لم يكن الجدل حول تحسين النسل علميا فحسب بل سرعان ما اتخذ أبعادا فلسفية وأخلاقية وقانونية حيث اصطدمت الرغبة في تطوير الإنسان وراثيا بمفاهيم أساسية مثل الحرية الفردية، الكرامة الإنسانية والمساواة الاجتماعية فبينما اعتبر البعض تحسين النسل وسيلة مشروعة لتقليل المعاناة وتحقيق الرفاه البشري، رأى آخرون فيه خطرا محققا يهدد التعددية البيولوجية والعدالة الاجتماعية خاصة إذا حصرت هذه التقنيات في فئات معينة دون غيرها.

ويزداد هذا النقاش تعقيدا مع تصاعد النظرة الليبرالية التي تدافع على حق الأفراد في اتخاذ قراراتهم الشخصية بحرية بما في ذلك القرارات المرتبطة بالإنجاب واختيار الصفات الوراثية للأبناء والنظرة النفعية التي تعطي الأولوية لتحقيق المنفعة العامة حتى لو تطلب ذلك التضحية ببعض الحريات الفردية، في المقابل تظهر تساؤلات حول حدود هذه الحرية عندما تتعارض مع المصلحة العامة أو عندما يؤدي إلى الاستخدام المفرط لتحسين النسل إلى تكريس أشكال جديدة من التمييز أو الإقصاء.¹

أ-1- الموقف الليبرالي من إمكانية تحسين النسل

تقوم النظرة الليبرالية لتحسين النسل على مبدأ أساسي يتمثل في أولوية الحرية الفردية في اتخاذ القرارات المتعلقة بالإنجاب والتدخل الوراثي. واختيار الصفات الجينية للأبناء، فالطرح الليبرالي الذي يقدر حرية الفرد ومسؤولية عن نفسه، يرى أن من حق كل إنسان أن يقرر بحرية ما يراه مناسباً لحياته، ولحياة أبنائه، شريطة أن لا يترتب عن ذلك ضررا مباشرا للآخرين، وهذا الموقف الممجد للحرية الفردية يعود بأصوله إلى **جون ستوارت ميل** الذي يرى في كتابه عن الحرية أن

1-الحفار محمد السعيد، البيولوجيا و مصير الإنسان، الكويت 1984، ص239

الغرض الوحيد الذي يبرر تدخل البشرية فرداً أو جماعة في حرية أي فرد هو حماية النفس من الضرر¹، وهذا يعني أن الحرية لا يحده إلا خطر محقق قد يقضي على الحرية ذاتها. لكن يورغن هابرماس، يرفض فكرة النسالة البشرية، يرى أن النظام الليبرالي يوضح معالم العلاقة القائمة بين العلم والسياسة؛ أي بين التقنية والنظام الليبرالي وكيف يمكن لهذه العلاقة " أن تفسر تحول الدولة لجهاز إدارة عقلانية ذات صيغة شاملة"²؛ لأن النظام الليبرالي من موجد الحرية وكل قراراتهم تحت راية الحرية. هذا ما يفتح الباب للأفراد والأزواج ويمنحهم الحق في استعمال التقنيات الحديثة مثل الفحص الوراثي أو التعديل الجيني للأجنة لتحسين فرص إنجاب أطفال أصحاء أو لزيادة فرص استهلاك صفات مرغوبة كالمسارات الذهنية أو الجسدية طالما أن هذا لا يضر بمصلحة الآخرين. ويضيف هابرماس قائلاً " أن العلم والتقنية قد تحالفاً طبيعياً حتى الآن مع فكرة الليبرالية التي تعتبر أن لجميع المواطنين الحق بالفرص نفسها من أجل تكيف خيالهم بشكل مستقل"³. هكذا نلتمس دعم الدولة للتقنية التي تسير تحكم الآباء بأبنائهم من خلال التغيير عن قيمهم وتطلعاتهم لأبنائهم. ومن جهة أخرى، قد ينظر إليه كوسيلة لضمان تمتع الأبناء بأفضل فرص ممكنة للنجاح والازدهار في الحياة. هذا ما جعل جون رولز في كتابه نظرية في العدالة يضع مبدأ الإنصاف كأساس العدالة بحيث يقول رولز " المؤسسات العادلة هي تلك التي لا تعتمد مزاياها على ظروف غير عادلة وغير مكتسبة."⁴ ولذلك يشدد رولز على أن أي تدخل لا يجب أن ينتهك حرية الفرد منع الأضرار الجسمية غير أن ما يلتمس من الواقع حالياً أن العلم والتقنية قد زاد من مساحة الحرية على حساب انحلال الاجتماعي"⁵ وهذا الأخير مدعم برعاية السياسة فما هو حاصل حالياً من عمليات المتحولين جنسياً سبب ذلك ما أدى لزعزعة مفاهيم الهوية، وكل ذلك باسم الحرية والمدعم بقرارات سياسية. إن عملية تحسين النسل لها أبعاد تسهم في تفكيك الذات، فبمجرد أخذ قرار التعديل ستحكم عليه أنه سيكون تابعا لقرار الوالدين، باتساع الفجوة الاجتماعية بحيث يخشى البعض من أن يستفيد الأغنياء فقط من تحسين النسل مما يؤدي إلى تكريس فجوة طبقية وراثية بين الفئات الاجتماعية المختلفة يعبر بعض الليبراليين عن قلقهم من أن يؤدي التعديل الوراثي إلى اعتبار الأطفال مشاريع شخصية أو منتجات مصممة حسب الطلب سلع مصممة مما قد يقوض فكرة الكرامة الإنسانية، وتكريس التفاوت

¹ - جون ستوارت ميل، عن الحرية، تر علي عبد الرزاق، دار المعارف 1953 ص40

² - يورغن هابرماس، العلم والتقنية كإيديولوجية، تر. حسن صقر ط1، منشورات الجمال، 2003 ألمانيا، ص114-115.

³ - يورغن هابرماس، مستقبل الطبيعة الإنسانية: نحو نسالة ليبرالية، تر. ج. كتورة، ط1، لبنان المكتبة الشرقية، 2006، ص34

⁴ - جون رولز، نظرية في العدالة، تر. محمد عفيفي بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1995

⁵ - يورغن هابرماس، مستقبل الطبيعة الإنسانية: نحو نسالة الليبرالية، ص. 35

فنحن عندما نستهلك الأجنة ونعدل فيها سنتنتهي حتما وبالضرورة إلى خلق تراتبات في الكائن الحي¹. والمقصود بالحي هنا هو الكائن الإنساني.

بناء على ما سبق، تدافع الليبرالية عن الحق الفردي في تحسين النسل لكنها في الوقت نفسه تدعو إلى إطلاق نقاش أخلاقي عميق ومسؤولية تهدف إلى وضع ضوابط تنظيمية خفيفة توازن بين حماية الحرية الفردية من جهة والحفاظ على مبادئ العدالة الاجتماعية والكرامة الإنسانية من جهة أخرى دون الانزلاق نحو تدخل قسري أو فرض نماذج قيمية موحدة على المجتمع بأكمله.

أ-2- النظرية النفعية و مشكلة تحسين النسل

تعد الفلسفة النفعية من أبرز النظريات الأخلاقية التي تركز على تحقيق أقصى منفعة وسعادة ممكنة لأكبر عدد من الناس ، فأى فعل أو سياسة تعتبر أخلاقية إذا كانت تساهم في زيادة السعادة ، وتقليل المعاناة. وفقا لهذا المبدأ، فإن تحسين النسل يمكن أن يكون مبررا إذا كانت نتائجه تؤدي إلى جيل يتمتع بصحة وقدرات عقلية وجسدية جيدة، مما يؤدي إلى تحسين جودة الحياة على مستوى المجتمع ، هذا الموقف هو ما دافع عنه **جوليان هكسلي** في القرن العشرين. إذ اعتبر هذا الأخير أن التحسين يمكن أن يكون أداة لتعزيز التطور البشري مشيرا ان التقدم الجيني يمكن أن يقلل من المعاناة البشرية ويزيد جودة الحياة . فالأمراض الوراثية مثل التليفق الكيسي ، وضمور العضلات تؤدي إلى معاناة كبيرة ليس فقط للأفراد المصابين ولكن لعائلاتهم والمجتمع ككل ، لذي يمكن لتقنيات تحسب النسل مثل التعديل الجيني أن تقلل من انتشار هذه الأمراض

قبل زمن التقنية الفائقة، اعتبر **جيريمي بنتام** أن تحسين النسل، في صورته العامة، يمكن أن يساهم في زيادة المنفعة العامة إذا كانت السياسات المتعلقة به تؤدي غرض تقليل الأمراض الوراثية وتحسين جودة الحياة ، وعليه فهو مكسب ايجابي يتماشى مع مبدأ المنفعة الذي يهدف إلى تحقيق أكبر قدر من السعادة². ويدعو أيضا إلى ضرورة تحقيق توازن بين حقوق الأفراد والمصلحة العامة وذلك دعم السياسات التي تعزز الصحة العامة ولكن بطريقة تحترم حقوق الأفراد واتخاذ قراراتهم³، وإذا كانت هناك سياسات لتحسين النسل تساهم في رفع مستوى السعادة وتقلل المعاناة فإنه يدعمها⁴، وعليه

¹- عادل حد جامي- مسألة التحسين الجيني في الفلسفة الألمانية المعاصرة سلوتراديك ضد ها برماس نقلا عن منتديات تخاطب

https / takahatub.ahlamontada.com¹25-12-2012

²- جيريمي بنتام ، **مبادئ الأخلاق والتشريع**، تر عبد الرحمن بدوي ، دار الكتاب العربي ، 1969-ص 75-80

³- جيريمي بنتام ، **مقدمة في مبادئ الأخلاق والتشريع**، تر عادل زكريا ، دار المعارف 1980 ص 45-50

⁴- جيريمي بنتام ، **مقدمة في مبادئ الأخلاق والتشريع**، المرجع السابق ، ص 60-65

اعتمدت النزعة النفعية على فكرة "حساب المتعة"¹ التي يوفره أي إجراء أو فعل ، مهما كان المجال التداولي الذي ينتمي إليه ، حيث يمكن تقييم السياسات بناءا على النتائج المترتبة عليها في حالة تحسين النسل يمكن تقييم الفوائد الصحية والاقتصادية مقابل المخاطر أو العواقب .

تدعم النفعية فكرة الإلزام إذا كان الهدف من فعل ما تقليل المعاناة ، وتحقيق منفعة أكبر وتدعم السياسات القسرية إذا كانت نتائجها إيجابية ، تعتبر نظرة النفعية لتحسين النسل أداة محتملة لتحقيق المنفعة العامة شرط أن يتم ذلك بطريقة تحترم حقوق الأفراد وتحقق توازنا بين المصلحة العامة وحرية الاختيار من خلال هذه المبادئ يمكن أن تسهم السياسات المتعلقة بتحسين النسل في تعزيز السعادة العامة وتقليل المعاناة .

غير أن يرى **فرانسيس فوكوياما** يرى أن التوجه النفعي يبني مبادئهم الأخلاقية على أسس ونظريات صريحة عن الطبيعة البشرية ، فقد حاول **جريمي بنتام** اختزال جميع الدوافع البشرية في السعي وراء الملذات والنجاة من الألم في حين أن الطبيعة البشرية أكثر تعقيدا بالكثير من إمكانية اختزالها في فئات بسيطة مثل " الألم أو اللذة"² ، فذلك إلغاء لمكوناتها الأصيلة الأخرى .

تعتبر النفعية إطارا فلسفيا قويا يمكن أن يدعم السياسات المتعلقة بتحسين النسل من خلال التركيز على تحقيق المنفعة العامة وتقييم النتائج وتعزي ز العدالة الاجتماعية ، حيث تمنح الأولوية لتحقيق المنفعة العامة حتى ولو تطلب ذلك التضحية ببعض الحريات الفردية . ولكن الإنسان المعاصر أثبت أنه يتلاعب بإنسانيته في كل مرة نتيجة لغروره العلمي وادعائه أن العلم قد بلغ غايته أي أن الإنسان قد أدرك العلم المطلق فلا فارق بينه و بين الله فأعطى لنفسه حق الخلق و البحث عن كائن جديد يتعدى الإنسانية بغض النظر عما إذا أقيم اعتبارا للقيم الأخلاقية و الدينية أم لا.³

رغبة في الاحتياط من هذا التوظيف الواسع للتقنية في مجال البيولوجيا، ظهرت نزعة مناوئة لهذه التقنية بشعارات أخلاقية تدعو إلى تطبيق مبادئ عقلنة التقنية وأخلقة تطبيقاتها، فتوج الفكر الأخلاقي المعاصر بنشأة مجال فكري جديد يهتم بالقضايا الأخلاقية الناجمة عن التقدم الحاصل في العلوم الطبية وفي البيولوجيا المعاصرة، وهو ما يعرف اليوم بالبيواتيقا .

بعدما الإنسان يعمل عقله في فهم الطبيعة وسير أغوار قوانينها، بغرض التحكم فيها، أصبح الإنسان نفسه هو العنصر الأساسي في تركيب التجارب الخاصة بالهندسة الوراثية ، هذا ما أثار مخاوف العقل

¹ - جيريمي بنتام، **مبادئ الأخلاق والتشريع**، المرجع السابق، ص 85-90

² - فرانسيس فوكوياما . **مستقبلنا البشري** ، عواقب الثورة التقنية الحيوية، المصدر السابق ص 148

³ - عبد المنعم عباس ، صفاء عبد السلام جعفر، **مذاهب فلسفية معاصرة** (دار المعرفة الجامعية ، مصر، 2003، ص 473

الفلسفي المعاصر نظرا لخطورة الوضع وتهديد التقنية لكرامة الإنسان، و قدسيته انتمائه، وحقوقه الأخلاقية التي لا يمكن التغاضي عنها، فمحاولة العلماء تغيير التركيب الوراثي للإنسان وتحويله إلى كائن ذي صفات خاصة يحددونها هم وحدهم ما هو إلا تدخل في حرية الإنسان واستقلاله¹، فالعلماء يتدخلون في التركيب الوراثي للإنسان وهم يحلمون بأن يتحكموا بهذا التركيب و يتلاعبوا به إلى حد إنتاج نسخ عديدة من إنسان واحد فأين تقع قدسية الحياة من هذا، إن تهديد التجارب البيولوجيا عموما و الهندسة الوراثية خاصة لكيان الإنسان و قدسيته من أهم المخاوف التي يسيرها المهتمون لهذا الموضوع من الناحية الفلسفية بحيث تنرى كاتبة مثل تيريزا جليسي "س" أن أخطار الهندسة الوراثية في تطاول على قدسية حياة الإنسان وهو ما يخالف مبدأ قدسية الحياة".²

إننا نعاني خوفا يجعلنا نفكر في الموضوع من زاويتين، وهما:

الزاوية الأولى: كما قلنا مسبقا أن الإنسان له كرامة، وحرية، فلا يجب أن يتصرف بها العلماء على حسب مبتغاهم³ لكن هذا لا يرغمنا على عيش مستقبلنا من خلال الواقع الذي نعيشه لأننا نعالج فكرا مستقبليا من خلال موضوع الحاضر و هذا ما يعني أن نقيم المستقبل على أساس مفاهيمنا و قيمنا نحن و ليس القيم و المفاهيم المستقبلية و في هذا الشأن نجد قول كلودفر JHON CLOVER "إن القرارات التي نتخذها للمستقبل قد لا تكون منصفة للأجيال القادمة، لأننا نحكم من خلال قيمنا الحاضرة، ثم من يدري أن الأجيال القادمة ستشعر بأن قدسيته و حرمتها قد انتهكت حين يدخل العلم لتغيير تركيبه الوراثي"⁴. إن التوجس الكبير ليس من المساس بالإنسان و قدسيته فقط، وإنما من الخطر الذي يتهدد البشرية، فأى خطأ قد يؤدي إلى هلاك الجميع.

الزاوية الثانية: العالم بوصفه مسؤولا عن مستقبل الأجيال القادمة، فالعالم ه و العنصر الثاني الذي يشمل تجارب الهندسة الوراثية بعد الإنسان وكم كانت تجاربه هذه تخص الإنسان بشكل مباشر فهو يشعر بالقلق دون شك إذ أن الأمر لا يرتبط بمواد جامدة أو كائنات حية من فصائل أخرى غير الإنسان بل إنه سيتعامل هذه المرة مع الإنسان بشكل مباشر مع خلاياه و أنسجته لذلك إذا حدث خطأ فإنه يمكن أن يؤدي إلى حدوث كارثة يتحمل هو مسؤوليتها الكاملة⁵. إن التطبيق الذي يعرفه أطفال الأنابيب هي عملية غير إنسانية و غير طبيعية من وجهة نظر أخلاقية، بخاصة إذا كان بين الزوجين

¹ -محمد المرسي زهرة، الهندسة الوراثية بين الشريعة و القانون، دار النهضة العربية، مصر، ط1، 2005، ص 1612

² -نقلا عن ناهدة اليقضي، الهندسة الوراثية و الأخلاق، المرجع سبق ذكره، ص 233

³ -محمد مرسي زهرة، الهندسة الوراثية بين الشريعة و القانون، دار النهضة العربية، مصر، ط2005، ص1، 1612

⁴ -نقلا عن ناهدة اليقضي، الهندسة الوراثية و الأخلاق، المرجع سبق ذكره، ص 233، 234

⁵ -نقلا عن ناهدة اليقضي، الهندسة الوراثية و الأخلاق، المرجع سبق ذكره، ص236

طرف ثالث سواء كان متطوعا بالسائل أم متطوعة بالحمل كالأم البديلة ، فوجود هذا الطرف يحول العملية إلى تجارة¹. إلى جانب هذا يمكن أن يضيع معنى الأمومة و يفتح الباب أمام تكوين عائلة قد لا يكون هناك حاجة لأحد الطرفين لإتمامها، فالزوجة تستطيع أن تستعين بامرأة أخرى تقوم بالحمل ومن ثم تربي الطفل وحدها و كذلك الزوج يستطيع تأجير رحم للحمل ثم يأخذ الطفل و الأخطر من هذا أن ينشأ الطفل في عائلة من جنس واحد.

إن معرفة أي إنسان لأصله حق من الحقوق الطبيعية، فللمعرفة تساعد الطفل على التوصل إلى هويته وعدم معرفته لها يعني حرمانه من حقه الطبيعي ، والسؤال الذي يطرح نفسه هل يمكن أن تكتفي بمجتمع مثل مجتمع هوكسلي HUXLEY الأطفال فيه ما هم إلا إنتاج مختبرات وحاضنات صناعيات؟

إن قضية الأم البديلة كما يعتقد البعض تغطي معنى الأمومة بحاجز ضبابي يجعل هذا المفهوم غير واضح فبعدما كانت الأم هي التي تحمل و تلد و تربي و هي التي ترتبط بالطفل علاقة من أسمى العلاقات الإنسانية فقد اختلف الأمر الآن و قد يختلف في المستقبل إن تحقق حلم هوكسلي و أصبح هناك فرقا بين ما يمكن أن نطلق عليه " الأم البيولوجية" و " الأم بالحمل" . أما فيما يخص (الهندسة الوراثية) المرحلة القادمة تتجه إلى سعي المعالجة أو رصد الأمراض الوراثية ومن ثم تحسين النسل من أجل خلق إنسان متفوق ، ومن المعقول أن يفضي هذا إلى الإبادة الجينية ذلك أنه لو نظرنا إلى تاريخ البشرية فإنه من غير المحتمل على الإطلاق أن ننظر إلى تلك المخلوقات "ما بعد البشرية على أنها تتساوى معنا في الحقوق أو تنظر هي إلينا على أننا متساوون معها في المقابل من المعقول جدا أن ننظر إليها كتهديد لنا على عكس ذلك يمكن لهذه المخلوقات أن نعتبرنا نحن أفراد البشرية العادية كجنس منحط لا يتمتع بالحقوق الإنسانية ولا يصلح إلا للخضوع أو قد تعطي الأفضلية للقضاء عليه².

¹Nelson, human, medecine ; USA, augustug, publishing houssen 1973, p 118

² عبد الله بن عزيزة المعروف جبرومباندني، الكاتب المغربي، القيم إلى أين؟، دار الأمان، المغرب، 2012، ص 428

ب-النقد الفلسفي لفكرة تحسين النسل

ب1- موقف يورغن هابر ماس من النسالة البشرية

يرى هابر ماس أن مع التقدم الهائل أصبحنا نواجه اليوم تحولا جديدا يتعلق الأمر بنمط تدخل جديد مع فك شفرة الجينوم وإمكانية التحكم الخارجي للإنسان في تركيبية الإنسان الجينية، وهو ما يطرح قضية في غاية الأهمية وهي أن "الفكرة السائدة حتى الآن على مستوى الحداثة الأوربية يمكنها على غرار الإيمان الديني الانطلاق من أن التجهيز الوراثي للمولود الجديد وبالتالي من الشروط العضوية لانطلاق سيرته المستقبلية هي بمعزل عن كل برمجة وعن كل تلاعب مقصود من جانب الآخرين والشخص حين يكبر باستطاعته دون أدنى شك إخضاع تاريخه الشخصي لحكم نقدي ولمراجعة استيطانية¹.

لقد ميز هابر ماس بين نوعين من النسالة، ويتضح ذلك من قوله . يقول : "تظهر الضرورة لمحو هذه النسالة السلبية المبررة فرضيا عن النسالة الايجابية " (غير المبررة منذ بداية الأمر) وبقدر ما يكون هذا الخط الفاصل مترجحا فإن الأولى (النسالة السلبية) التي تريد احتواء التدخلات الوراثية خارج حدود تكون بعدها أمام تحدي شديد التناقض ذلك أننا أمام مجال علينا فيه أن نقيم بل أن نفرض خطوط انطلاق واضحة بشكل خاصا"². يستدعي الأمر التمييز بين صورتين من النسالة إحداها سلبية وأخرى إيجابية والحال أنها "حجة تستخدم اليوم للدفاع عن نسالة ليبيرالية لا تعترف بالحدود بين التدخلات العلاجية والتدخلات الهادفة إلى غاية تطويرية بل تترك للأفضليات الفردية لصناع السوق اختيار الغايات التي تتحكم بالتدخلات المعدة لتعديل السمات الوراثية"³

لقد تساءل هابر ماس عن الحدود التي يجب وضعها للتدخلات في الجينوم ثم صاغ أجوبته انطلاقا من نظريته من الفعل التواصلي التي تؤكد قدرة العقل على الوصول من خلال النقاشات العمومية إلى خلق اتفاق بين الذوات بغاية الوصول إلى عمل مشترك. يلح هابر ماس على مركزية مفهومى الحرية والمسؤولية في الفعل الأخلاقي المرتبط بالكرامة الإنسانية، وهما ما يتم إنكارهما عندما يجرد الوالدان الطفل الذي يعاد تشكيل جينومه من الحق في أن يعيش حياته التي هي ملك له ولهذا يرى أن التدخلات التي ترمي إلى التحسين الوراثي لا تنتهك الحرية الأخلاقية إلا بقدر ما تخضع الشخص المعني به لنوايا يحددها الطرف الثالث، ولهذا يرى "أن تحمل مسؤولية اختيار عملية انتقاء الجينات و أخذ

¹- هابر ماس- مستقبل الطبيعة الإنسانية نحو نسالة ليبيرالية، ص، 21.

²- هابر ماس- مستقبل الطبيعة الإنسانية نحو نسالة ليبيرالية، ص، 28.

³- المرجع نفسه، نفس الصفحة.

قرارات من الآباء يندربتحول خطير في القيم والطبيعة الإنسانية على حد سواء فصلاحيات الآباء لا ترهن حرية الطفل مستقبلا "إن حرية الآباء في تحسين النسل تخضع لهذا التقييد إذ لا يجب أن تدخل في تعارض مع حرية الأطفال الأخلاقية"¹. إن هذه التقنية ستسهم في تدهور عملية التواصل بين المولود الاصطناعي والمولودين طبيعيا حيث أن ذلك الكائن الحي المعدل جينيا سيفقد تحديد مصيره بنفسه وذلك راجع لتدخل إرادة آباءه وإلغاء إرادته يعني هذا أن عملية تحديد مصيره بنفسه قد ألغيت قبل ميلاده.

نظرا لما سبق، يرفض هابرماس استخدام جنس ما لغاية معالجة آخر احتراماً حرية الفرد وعدم استعمال الجنس كأداة لخدمة جنس آخر موجود أو يسخر لغاية ينشدها الآباء، ورفض هابرماس ما هو إلا دليل على إعلاء سلطة الفرد لكيوننته وتقديس لحريته يقول ها برماس " لا يجب على أي أحد أن يكون تابعا لشخص آخر أو يعتمد عليه بكيفية لا رجعة فيها والبرمجة الجينية تولد علاقة أبوية من نوع خاص " فتتحول تبعية انتساب الأطفال إلى آباءهم هنا إلى تبعية وراثية تجرد الطفل منذ البداية من كل إمكانية لكي تكون ذاتا حرة."²

يتساءل هابرماس هل يمكن أن نكون متأكدين من أن الطفل الذي لم يولد بعد سيمتلك تفصيلاتهم الجينية حتى لو افترضنا أن الطفل يتمشى مع اختيارات والديه، ألا يمكن أن يلومهم على كونهم منحوها استعدادات للأدب بدل الرياضيات؟ و هل سيكون الطفل حسب رغبة الوالدين قادرا على التفكير في نفسه باعتباره مالك لسيرته الذاتية دون أن يتقاسمها معهم؟ ، وهنا يعارض **يورغن هابرماس** ذلك باسم حق كل شخص في الوجود باعتباره أنا حرة و مساوية للآخرين أي أن أي شكل من أشكال تحسين النسل الليبيرالية و كل تدخل في الجينوم خارج الحالات العلاجية الخطيرة التي تقتضي مثل هذا التدخل ، الذي لا بد من إرشادنا البيو تكنولوجيا العقلاني³. إن جوهر فلسفة **يورغن هابرماس** تتمحور حول عملية التواصل الفعلي بين الأنا و الآخر بطريقة سوية فكيف لها أن تبني علاقات سوية مع الآخر.

إن ما تقوم به هذه التقنية هو تنشئة الأجنة ، ففي أفق الطفل تحت الطلب (الطفل البطاقة ، طفل الاستعمال، أطفال الكاتالوغات designer babies) يتم تجريد الجنين من بعده الحي ليتحول إلى

¹- علي عبود المحداوي، البيوتق و المهمة الفلسفية ، أخلاق البيولوجيا و رهانات التقنية ، ط1، منشورات الاختلاف و آخرون، 2014، ص249

²- علي عبود المحداوي، البيوتق و المهمة الفلسفية ، نفس المرجع ، 2014، ص255

³- هابرماس، مستقبل الطبيعة الإنسانية نحو نسالة ليبيرالية ، المكتبة الشرقية ، 2006، ص96 ص99

مجرد أشياء مخبرية، وهو ما لا يتحقق مع التحسين الجيني كما أنه يقول: "إن التقنية الجينية تحترف مبدأ مركزيا من مبادئ حقوق الإنسان و هو كون أن كل الناس يولدون و يخلقون متساويين " فنحن عندما نستهلك الأجنة ننتهي حتما إلى خلق ترتيبات في الكائن الحي أبسطها ترابت بين المعدلين وغير المعدلين من البشر وهذا ما يؤدي إلى انكسار وحدة الجنس البشري.¹

يمكن القول أن ما تطرق إليه **هابرماس** في كتابه مستقبل الطبيعة البشرية: نحو نسالة لبييرالية الذي يدخل في إطار الجدل القائم بين التقنية الوراثية التي تتطور بسرعة ، والتي يرافق تطورها الكثير من القضايا التي تثير تساؤلات تتعلق بالوجود البشري.

ب2-موقف فرانسيس فوكوياما من النسالة البشرية

يعتبر **فوكوياما** من الفلاسفة الباحثين في موضوع التقنية الحيوية و الذي اهتم بقضية البيوتكنولوجيا فألف كتابا بعنوان مستقبلنا بعد البشري وعواقب الثورة التقنية الحيوية " ، رفض فيه رفضا مطلقا تجارب الهندسة الوراثية بل و ذهب إلى أبعد من ذلك المطالبة بالنظر الشامل لها منطلقا في ذلك من موقعه كعضو في المجلس الرئاسي الأمريكي لأخلاقيات البيولوجية و في هذا الصدد قال " أن الأوان كي نتحرك من التفكير إلى العمل ، ومن التوجيه إلى التشريع لأننا نحتاج إلى سلطة التنفيذ الفعلي " ²، يرى فوكوياما أن الرهانات المترتبة على علم البيولوجيا و علم الوراثة بشكل خاص ذات نتائج فلسفية محضة فهي ستؤدي إلى تغيير طبيعة الإنسان كما تعرفها اليوم إذا ما استمرت الأمور على هذا النحو و لم يتدخل أحد لتغيير دقة العلم أو وجهته، فالعلم دون وازع أخلاقي قد يؤدي إلى كارثة.

تتطرق **فوكوياما** إلى إمكانية أن يكون البشر حقلًا لتجارب الاستنساخ وتحسين النسل عن طريق إنتاج نوعية من الأطفال يتمتعون بالذكاء و الطول و صفات جسمية و نفسية معينة و يقول في هذا الصدد "تشكل قضية التجريب على البشر عقبة خطيرة أمام التطور السريع للهندسة الوراثية لكنها ليست عقبة لا يمكن تخطيها أبدا ، وكما في الحال اختبار الأدوية ستتحمل الحيوانات أغلب عبئ المخاطر في البداية ، وستعتمد أغلب المخاطر التي يمكن قبولها عن التجريب على البشر وعلى المنفعة المتوقعة منها"³.

أما فيما يخص التعديل الوراثي وتغيير السلالة البشرية، فيقول فوكوياما "إن قضية الهندسة الوراثية المحسنة للسلالة أو المخلة لها لا تزال قضية مفتوحة و سيكون الأطفال حسب الطلب باهضي التكلفة

¹ - جاكين روس، الفكر الأخلاقي المعاصر، تر، عادل العوي، ط1 منشورات عويداد بيروت، 2001، ص73-78
² -فرانسيس فوكوياما، عواقب الثورة التقنية الحيوية، تر ايهاب عبد الرحيم محمد، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ط1 أبو ظبي، 2006، ص 251.
³ -فرانسيس فوكوياما، مستقبل بعد البشري، المصدر السابق ص 106 .

مع البداية و سيمثل خيار الآباء الميسورين وحدهم و إمكانية أن يصبح هذا الأمر شائعاً رخيص الثمن سيعتمد على معدل سرعة انخفاض تكاليف تقنيات مثل التشخيص قبل الإنعراس" ¹ كما تطرق فوكوياما إلى الاعتبارات الداعية للقلق والخوف من التقنية الحيوية ومن الاعتبارات الديني؛ لأن هناك تقليد مشترك بين المسيحية و اليهودية و المسلمين يقول بأن "الإنسان قد خلق على صورة الله و هذا الأمر مضامينه المهمة بالنسبة للكرامة الإنسانية" ² .وكذلك الاعتبارات السياسية فقد يسعى الآباء لإنتاج أطفال بمميزات معينة الذكاء و القوة و الصحة و الجمال و هنا ستزداد الهوة اتساعاً بين الدول المتقدمة و المتخلفة من جهة و تحدث أزمة داخل المجتمع المتقدم من ذلك الذي يصبح مجتمعا متكونا من أفراد متساوون في القدرات ، و اعتبارات معينة تتمثل في إمكانية تحول التقنية الحيوية إلى ظاهرة اقتصادية و تجارية يكون معيارها الربح أو الخسارة دون الأخذ بعين الاعتبار من الكرامة الإنسانية. و اعتبارات طبيعية بشرية حيث هناك جوانب عديدة للطبيعة البشرية يعتقد بأننا نفهمها تماما و نرغب في تغييرها إذا ساحت لنا الفرصة لكن تحسين الطبيعة ليس دائما بهذه السهولة فقد يكون التطور عملية عمياء ³.

أكد فرانسيس فوكوياما خطر التقنيات الحيوية على الطبيعة البشرية فسوف ينتشر في المجتمعات اللامساواة إضافة إلى طغيان التمييز العنصري و انتشار الظلم و القهر لأنها تسعى إلى وضع الإنسان في أنبوب اختبار و بالتالي فالعلم لا يحق له أن يفعل ما يشاء بنا و ليس كل تقدم أو اختراع علمي هو بالضرورة لصالح الإنسان لأنه أصبح يتلاعب بالصبغيات الوراثية للإنسان أي بجوهر الإنسان و بطبيعته الداخلية لهذا فوكوياما يهدف من هذه التقنية الحيوية "أننا نريد أن نحمي النسق الكامل لطبيعتنا المعقدة المتطورة ضد محاولة تعديل الذات نحن لا نريد تشويش وحدة الطبيعة البشرية أو استمرار بقائها و من ثم حقوق الإنسان المبنية عليه" ⁴.

¹ فوكوياما، مستقبل بعد البشري، المصدر السابق ص 106.

² فرانسيس فوكوياما مستقبل بعد البشري المصدر السابق ص 116-117-118.

³ فرانسيس فوكوياما مستقبل بعد البشري، المصدر السابق ص 127.

⁴ فرانسيس فوكوياما، نهاية الإنسان، عواقب الثورة البيوتكنولوجية، المصدر السابق ص 214.

ج- مفهوم العدالة بين الحرية الفردية والمصلحة العامة.

تعود الإشكالية الكبرى المتعلقة بتحسين النسل في كيفية التوافق بين الحرية الفردية والمصلحة العامة. تُظهر هذه الإشكالية التوتر بين حق الأفراد في اتخاذ قراراتهم الشخصية فيما يخص نسلهم، وبين ضرورة الحفاظ على المصلحة العامة والمبادئ الأخلاقية التي تحمي المجتمع ككل. إن الحرية الفردية هي مبدأ أساسي في الفلسفة الليبرالية، وهي تمنح الأفراد الحق في اتخاذ قرارات مستقلة بشأن حياتهم الشخصية، بما في ذلك اتخاذ قرارات حول إنجاب الأطفال أو التعديل الوراثي. وفي هذا السياق، قد ينظر إلى تحسين النسل، سواء كان ذلك من خلال العلاج الجيني أو الفحص الوراثي قبل الزواج، هو جزء من حرية الأفراد في تحقيق حياتهم على أكمل وجه. هذه الرغبة في تحسين النسل تتبع من رغبة في تحقيق أقصى إمكانات الحياة البشرية، ورفع مستوى الأفراد في المجتمع¹. مع ذلك، فإن تعزيز الحرية الفردية في اختيار الصفات الوراثية تحدّد عندما يتعارض مع المصلحة العامة، فالاختيارات الفردية قد تؤدي إلى آثار غير متوقعة قد تهدد التوازن الاجتماعي والبيولوجي. وإذا كانت تقنيات تحسين النسل تُستخدم لتفضيل صفات معينة على حساب أخرى، مثل التفوق الذهني على الصفات العاطفية أو الإنسانية، قد يؤدي ذلك إلى تشويه مفهوم التكامل الاجتماعي.

وقد تُحدث فجوات اجتماعية أو نفسية بين الأفراد، فالتعديل في الجينات البشرية لن يساوي، لا محالة، إلى صناعة وابتداع إنسان على غير طبيعته، مُهجن ومستوى، مما يعود بالسلب على حقيقته الإنسانية، وليست البيولوجية فقط. ومنه لا بد من التقيد في هذه التجارب الجينية على قواعد قيمية وأخلاقية. إن تحسين النسل في غياب الضوابط قد يؤدي إلى تعزيز بعض الصفات الوراثية على حساب التنوع البشري، مما يهدد التطور الطبيعي، ويعزز من احتمالية نشوء طبقات اجتماعية أو فئات وراثية محسّنة على حساب الفئات الأخرى².

هذا ما قد ينتج التمييز العنصري والطبقي، ويؤدي إلى تآكل المساواة داخل المجتمع وهذا في حد ذاته يُعبّر عن تحذير دائم من طرف "هابرماس" من هيمنة الدولة الليبرالية في التلاعب بالجينات البشرية من أجل تكييفها في حياتهم بشكل مستقل. وهنا يُطرح مفهوم العدالة النفسية، في

¹ - رنا غانم، تحسين النسل بين الحق الفردي و المصلحة العامة، مجلة دراسات أخلاقية و إنسانية، العدد 05

² - فرانسيس فوكوياما، مستقبلنا بعد البشري، عواقب الثورة التقنية الحيوية، المصدر السابق، ص 107

محاولة تحقيق توازن أخلاقي بين الحرية الفردية والمصلحة العامة . يشمل هذا المفهوم عدّة جوانب رئيسية، وهي:

- السماح بالتقنيات التي تهدف إلى علاج الأمراض الخطيرة والحد من المعاناة.
- منع استخدام تحسين النسل لتعزيز التمييز العنصري أو الطيفي.
- ضمان الوصول العادل إلى تقنيات تحسين النسل للمجتمع.
- احترام الكرامة الإنسانية، وعدم اختزال الإنسان إلى صفات جينية فقط.

د- الأبعاد العلمية لتحسين النسل

يعد تحسين النسل (Eugénics) موضوع بالغ التعقيد يتقاطع فيه العلم بالأخلاق و الفلسفة و السياسة و قد أثار جدلا واسعا عبر التاريخ و م ازال. يشير المفهوم الأصلي ، الذي صاغه فرانسيس غالتون في عام 1883 ، إلى فكرة تحسين الصفات الوراثية للبشر عبر الأجيال متتالية و رغم أن مصطلح نفسه غالبا ما يرتبط بالماضي المظلم لبرنامج التعقيم ألقسري و الإبادة الجماعية ، فإن التطورات الحديثة في علم الوراثة و التقنيات الإنجابية أعادت إحياء النقاش حول إمكانيات "التحسين" البشري . ما موقف العلم من تحسين النسل؟

د-1-موقف التيار البيومحافظ (bioconserveur)

تاريخيا ، كان الدفع وراء حركة تحسين النسل هو الاعتقاد بان العديد من المشاكل الاجتماعية ، من الفقر إلى الإجرام ، متوارثة جينيا لذلك، رأى المؤيدون في ذلك الوقت أن التدخل العلمي لتحسين "المادة الوراثية" للإنسان سيؤدي إلى مجتمع أفضل فان العلماء يتنبؤون ببعث الإنسان مرة أخرى على الأرض بكل صفاته التي عاش بها بناو هذا ليس من نبغ الفراغ و ليس من محض الخيال إن بذرتة بالفعل موجودة و كل تجارب الضفدع هي التي ستعودهم إلى تجارب على الإنسان لكن بعد أن تصبح التقنية أكثر تطورا و دقة و حساسة و هذا يحتاج إلى زمن من اجل إنتاج أول إنسان بالتكاثر اللاجيني .

إن التكنولوجيا كهذه قد تساعدنا على تطوير حيث نستطيع إنتاج سلالة بشرية جديدة تدخل في تكوينها الوراثة بحيث يمكن الوصول إلى إنسان مهندس وراثيا سواء عن طريق التنسيل أو عن طريق التلاعب أو التحكم بالجينات بغية إيجاد كائن بشري وفق الطلب لقد استطاع العلم تحديد وحصر جميع الجينات في الخلية البشرية¹ من أجل اكتشاف كل التفاصيل الطاقم الوراثة المتعلقة بتنامي الإنسان ووظائف الأعضاء و الأنسجة و الخلايا و خصائصها و سماتها السوية و الغير السوية و يعرف هذا الهدف إجمالاً بضبط السيرة الذاتية للنوع البشري أو الهوية الجنية للإنسان و يقوم العلماء بتخزين و تحليل كل المعلومات الجنية التي يحويها الجينوم في قاعدة البيانات و نقل التكنولوجيا ذات الصلة بالموضوع إلى القطاع الخاص².

و الوقاية من الأمراض المحتملة و ذلك بعد الكشف عن أسبابها و مداخلها و يعتمد هذا الكشف على المعطيات و المعلومات الوراثية المذكورة في كيان الجين يوم فهو فيمنع علماء الخريطة الجنسية البشرية أن يضبطوا الجينات المسؤولة عن الأمراض و العاهات و أن يعلموا إمكانية الإصابة بها في مستقبل و حتى في أواخر عمر الإنسان و من هذه الأمراض و العاهات و السكري و متصلب الشرايين الأورام المختلفة و سرطان الثدي و ضغط الدم و غير ذلك³.

و لقد تمت أول عملية جراحية الجين يوم البشري و فيها تم إصلاح غلط حرفي في أحرف مروثة صغيرة كانت حصلت عليها الطفلة achanti من أبويها و بذلك استطاعت العيش فقد بعثت لها الحياة مع الأحرف الصحيحة للموروث التي دخلت في جينومه ا من جديد⁴. يتوقع العلماء تشخيص علاج لكثير من الأمراض التي تصيب الإنسان نتيجة خلل في الجينات الوراثية و الحد من تشوهات المواليد الخلقية و ذلك بتغيير التعليمات التي تصدرها الجينات أثناء نمو الأمل المعقود في المستقبل لمعرفة الجين المسؤول عن كل مرض وراثي و إصلاحه عن طريق العلاج بالجينات فيصبح

¹-محمد المرسي زهرة، الهندسة الوراثية بين الشريعة والقانون، المرجع سبق ذكره، ص25

²-مسعود بن عبد الله المحي، خريطة الجسم البشري، دار العلم السعودية، 2009، ص11

³-أحمد راضي أحمد أبو عرب، الهندسة الوراثية بين الخوف والرجاء، دار الفكر، الأردن، 2009، ص 206

⁴-موسى الخلف، العصر الجينومي، مرجع سبق ذكره، ص19

بالإمكان القضاء على المرض أو إتلافه مسبقا فالعلاج عن طرق الجينات يعتبر بمثابة تطعيم ضد الأمراض أو العاهات يتلقاها الجنين قبل أن يولد أو يتشكل من رحم الأم.

د-2- موقف الاتجاه التحسينية (transhumanisme)

تستند المعارضة لتحسين النسل، سواء التاريخي أو الحديث ، إلى أسس علمية صلبة ومخاوف أخلاقية تستند بدورها إلى فهمنا الحالي للبيولوجيا البشرية و تعقيداتها الموقف العلمي الراهن يرى أن ممارسات تحسين النسل غير قابلة للتحقق بشكل آمن أو أخلاقي ، وإنها تتعارض مع مبادئ البحث العلمي المسؤول.

فالمحدودية العلمية لفهم و تعديل الصفات المعقدة يعد هذا هو الحجز الزاوية في الموقف العلمي المعارض فغالبية الصفات البشرية " المرغوبة" أو غير المرغوبة " (مثل الذكاء ،الموهبة ، الصحة النفسية ، أو حتى الأمراض المعقدة كالسكري و أمراض القلب) ليست ناتجة عن جين واحد،بل هي صفات متعددة الجينات (polygenic) و تتأثر بشكل كبير بالتفاعلات المعقدة بين الجينات و البيئة علميا، فهمنا لهذه التفاعلات لا يزال بدائيا للغاية لمحاولة " تحسين " هذه الصفات عن طريق التلاعب الجيني هي محاولة مبنية على فهم غير مكتمل¹ ، و من المرجح أن تؤدي إلى نتائج غير متوقعة أو حتى ضارة العلم ببساطة لا يملك حاليا القدرة على تصميم " بشر مثاليين " بالمعنى الذي تصوره دعاة تحسين النسل انتقد فراترجو لسي الأسس العلمية لتحسين النسل و أكد على أهمية العوامل البيئية في تحديد الصفات البشرية لذا إنتقدفرانزا جولسي الأسس العلمية لتحسين الناس و أكد على أهمية العوامل البيئية في تحديد الصفات البشرية وحتى التقنيات الحديثة مثل التحرير الجيني(CRISPR-CAS9)، فإن التدخلات ليست خالية من المخاطر يمكن أن تحدث تعديلات غير مقصودة (off -target edist) في مواقع أخرى من الجينوم ، مما قد يؤدي إلى عواقب صحية وخيمة علاوة على ذلك العديد من الجينات لها تأثيرات متعددة (pleiotropiceffects)، أي أن الجين الواحد يمكن أن يؤثر على عدة صفات مختلفة تغيير جين لتحسين صفة معينة قد يؤدي إلى تدهور صفة أخرى بشكل غير متوقع من منظور علمي لا يمكن التنبؤ بشكل

¹-سعد محمد الحفار، البيولوجيا ومصير الإنسان، مرجع سبق ذكره، ص 126

كامل بهذه الآثار الجانبية حاليا ، مما يجعل أي محاولة لتحسين النسل بهذه الطرق محفوفة بمخاطر بيولوجية جسيمة على الأفراد قال إدوارد لانفير " إذا أقدم معمل على تغليف طفل احسب الطلب بالاستعانة بالتعديل الجيني فإذا الغضب الجماهيري قد يعرقل مجالا واعد للابتكار العلاجي " لقد انتقد هربرت يسنسر علم تحسين النسل بسبب تنشيطة المفرط الوراثة و من منظور علم الأحياء التطوري يعتبر **التنوع الجيني (genetic diversity)** ضروريا لبقاء الأنواع و مرونتها في مواجهة التغيرات البيئية و الأمراض إذا تم اختيار صفات معينة و تفضيلها على نطاق واسع فقد يؤدي ذلك إلى **تقليل التنوع الجيني البشري** بشكل كبير هذا النقص في التنوع يجعل النوع البشري أكثر عرضة للانقراض أو للتأثر بشكل كارثي بوباء جديد أو تغير بيئي مفاجئ الموقف العلمي يحذر من التسبب في " إختناق وراثي (geneticbottlenech)." و لقد أكد لاتسلون هوغين على أهمية المساواة الاجتماعية .

تاريخيا استندت ممارسات تحسين النسل إلى مفاهيم عنصرية و متحيزة للذكاء و التفوق الجيني ، و التي **دحضها العلم الحديث بشكل قاطع** لا يوجد أساس علمي يدعم وجود " أجناس " بشرية متفوقة جنيا ا وان الفقر و الإجرام متوارثان جنيا بشكل مباشر لقد أظهرت الأبحاث الجينية الحديثة أن الاختلافات الجينية بين الأفراد داخل نفس " العرق " أو المجموعة " اكبر بكثير من الاختلافات بين المجموعات البشرية المختلفة أي محاولة لإحياء تحسين النسل ستكون مبنية على مغالطات علمية راسخة و مدانة ، إن العمل على جعل الأجنة و الناس يتماثلون و يتطابقون و يكونون على وضع واحد في قوالب مت حدة¹ و هذا يحصل من خلال توحيد و تحسين الصفات الإنسانية و إيجاد الأذكاء و العباقرة و استبعاد السفهاء و البله و هذا يتعارض لسنة الخالق في خلق عباده

إلى جانب التحديات التقنية و البيولوجية ، تتبنى غالبية المجتمعات العلمية و الطبية معايير أخلاقية صارمة ترفض أي تدخلات قسرية او تمييزية في التكاثر البشري هذه المعايير ، المستوحاة من مبادئ مثل عدم الأضرار (non-Maleficence) و العدالة

¹-محمد المرسي زهرة، الهندسة الوراثية بين الشريعة والقانون، مرجع سبق ذكره، ص 36

(Justice) تضمن أن التقدم العلمي يستخدم لتحسين الصحة ورفاهية جميع الأفراد، و ليس لخلق طبقات وراثية أو تعزيز التمييز أي تطبيقات لتحسين النسل تهدف إلى (تحسين) صفات غير مرضية وراثيا بشكل مباشر، تتعارض مع هذه المبادئ، خاصة عندما تكون عواقبها غير مؤكدة و محفوفة بالمخاطر¹.

في المقابل يدعو المحايدون إلى ضرورة إجراء أبحاث شاملة لفهم العواقب المحتملة لتحسين النسل مع التأكيد على ضرورة وضع معايير أخلاقية صارمة قبل تطبيق أي تقنية جديدة. يجب التوازن بين الفوائد و المخاطر المحتملة لتحسين النسل و اتخاذ قرارات مستثيرة بناء على الأدلة العلمية و الأخلاقية لذا دعى تتيودوسيوس دوبرانسكي إلى دراسة متأنية لتأثير تحسين النسل على التنوع الجيني .

في الختام يبقى موضوع تحسين النسل البشري قضية معقدة تتطلب دراسة متعمقة و نقاشا موسوعا يجب أن يأخذ بعين الاعتبار الفوائد المحتملة للتقنيات الجديدة و لكن مع الانتباه للمخاطر و الأخطار الأخلاقية المحتملة. إن التفاعل بين العلم و المجتمع هو المفتاح لتحقيق توازن عادل يتضمن الاستفادة من التقدم العلمي دون المساس بالقيم الإنسانية الأساسية.

2- موقف الأديان من تحسين النسل

قد قدمت التقنيات الحيوية عروضاً مغرية لتطلعات البشرية وتنبئ بمستقبل واحد و زاهر من حيث القدرات و الإمكانيات التي ستحددها إلا أن المحافظين البيولوجيين Bioconservateurs يعتقدون أن التقنيات الحيوية تشكل تهديداً للتوازن البشري. فإذا كانت التقنيات الحيوية تقترح بين الفوائد المرغوبة و التعدادات في طالب واحد. و تعتبر الديانات و القيم المستقاة منها من أبرز المرجعيات التي تنظر بعين الريبة إلى إمكانية تحسين النسل البشري، لهذا سوف نحاول تحليل موقف الديانات التوحيدية الثلاث.

¹- أحمد راضي أحمد أبو عرب، الهندسة الوراثية بين الخوف والرجاء، مرجع سبق ذكره، ص 2011

أ-موقف الدين الإسلامي لتحسين النسل من خلال النصوص الدينية:

رغم حداثة موضوع الهندسة الوراثية خاصة في المجتمع العربي والإسلامي، فإن هذا لم يمنع الفقهاء والمشرعين المسلمين من إبداء موقفهم، الذي يعتبر اجتهادا، من المشكلات الأخلاقية المختلفة عامة، ومشكلة تحسين النسل على وجه الخصوص، حيث وضعوا خطوط حمراء فيما يخص هذا لهذه الإمكانية، باعتبار بعض نتائجها أو جلها قد تتعارض مع روح الدين الإسلامي . ولقد خصص لمناقشة هذه الأسئلة الأخلاقية كثيرا من المؤتمرات والمؤلفات. فما هو موقف فقهاء الإسلام من إشكالية تحسين النسل ؟

كان موقف الديانة الإسلامية من التقنيات وتطبيقات الهندسة الوراثية واضح ؛ فتارة يشهد الفقهاء بالجانب الايجابي لها ويدعون إلى الاستفادة منها قدر الإمكان، وتارة أخرى يقفون موقفا معاديا من بعض تطبيقاتها لأنها تمس مصالح الإنسانية كذلك التي يتعلق بالنفس والنسل والعقل والتي يحظى لتنظيمها بعناية الشرع كما أن حفظها من المقاصد الأساسية للشرع ، ومن هنا جاءت أهمية الأبحاث التي توضح الحدود التي يمكن فيها تطبيق مكتسبات الطب وعلم الأحياء على الذرية الأدمية على نحو لا يدخل بالقواعد الأساسية للشريعة ، ولا يهدر المصالح التي تدور حولها الأحكام الشرعية ومن ثم فإين مهمة الفقهاء والمشرعين هنا هي التأكد من أن مثل هذه التطورات لا تخالف الشرع¹، ونتيجة لما يما يمكن بأن ينتج عن إمكانية تحسين النسل، رفض الفقهاء فكرة عدم احترام كرامة الإنسان الناتجة عن عدم مراعاة خصوصيات الخلق وانطلاق من إلغاء العلاقة العادية بين الذكر والأنثى وإلغاء تلاقيهم المشروع في إطار علاقة زوجية ناشئة عن إرادة واختيار يعترف بوجودها الدين والقانون وتحميها قيم اجتماعية ، وعليه يكون الإنسان كائنا مكرما وقد خلقه الخالق ونفخ فيه الروح، وهو الذي خلق له الملائكة ساجدين ، مصداقا لقوله الله تعالى : «إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ (71) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سُجَّدِينَ(72)»².

رفض الفقهاء أيضا فكرة النظر إلى الإنسان كما ينظر إلى الحيوان والنبات؛ أي اعتباره كمادة خاضعة للتجربة أو التبضع دون مراعاة الجانب الإنساني والروحي فيه، في حين أن الله استخلفه في الأرض

¹-احمد شريف الدين مؤتمر الانجاب في ضوء الاسلام دار الفكر لبنان 1968 ص136

²سورة ص الآية 71-72

إن استخدام العلم وتطبيقاته على مستوى النبات والحيوان في سبيل أن يستفيد الإنسان أمر يبيحها الشرع، ولا يرفضه، ولكن التدخل في سنة من سنن الله لا يمكن أن يوافق عليه أي دين لذا يرى الفقهاء أن هناك حدود وضعها الله لا يمكن للإنسان تجاوزها ولذلك لا يجب أن يأخذ الغرور فيعتد أنه قادر على التلاعب بالحياة فقط لأنه استطاع تغيير طبيعة النبات والحيوان البيولوجية، فالله لن يترك الإنسان يعذب كما يشاء لقوله تعالى "حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا أَنتَهَىٰ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ"¹.

لقد حذر أحمد شرف الدين من خطورة الاندفاع وراء تحقيق هذا الحلم "تحسين النسل" أو الكابوس لأنه مجرد التفكير فيه يمكن أن يصيب الإنسان بصدمة قوية ولذلك يقول "إذا استطعنا أن نسيطر على الدوار الذي يصيب عقل المرء لدى سماعه لمقدرات إنسان المستقبل فإننا سندرك أن مثل هذه الإمكانيات البيولوجية ستثير موجة من الاضطرابات العارمة في النظام الاجتماعي القائم حالياً"². كل الشرائع حفظت كرامة الإنسان أي كان من مقاصدها السمحة حفظ النسل، وعليه لا يجوز الاعتداء على هذا النسل، وهذه النفس بأي نوع من الاعتداءات جسمية كانت أو نفسية، وهذا ما بينه القرآن الكريم في قوله سبحانه وتعالى "وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا"³، وهذا دليل على خلقه للإنسان كاملاً ومكرماً.

يؤثر تحسين النسل على مؤسسة الأسرة فأطفال الأنابيب، حيث لا يعرف أصله حتى وإن عرف أهله ونشأته، ولن توجد العلاقة القبلية التي تصل الأب والأم بابنهما كما أنه لن يجد الحنان الحقيقي لأنه منتج صناعي من خلايا جنسية كما أن الجنين المستنسخ هو عبارة عن توأم المتبرع بالنواة وهذا يؤدي إلى مشكلات قانونية لأن تحسين النسل في معظم جوانبه عبارة عن نظرة مادية تتحدث عن ربح وخسارة دون النظر إلى الأمور الروحية خاصة إذا أصبح الإنسان مصنعا لإنتاج قطع الغيار لأشخاص آخرين ربما تكون المحاولات فاشلة فإذا اعتبرنا أن كل محاولة فاشلة هي عبارة عن قتل لجنين جديد³، فإننا نقوم بعمليات قتل كثيرة لإنقاذ شخص واحد.

²-سورة يونس، الآية 24

²-أحمد شرف الدين، مؤتمر الإنجاب في ضوء الإسلام، دار النشر، لبنان، 2001 ص139

³- ناهدة البقصي، الهندسة الوراثية، مرجع سبق ذكره، ص220

لكن على الرغم من كل هذه التحذيرات فإن من الممكن أن يرى بعض الفقهاء المسلمين أن إصدار الحكم أمر سابق لأوانه لأن هناك جوانب إيجابية لا يجب أن تحرم البشرية مقاييس الخوف مما هو سلبي، إن تحسين النسل من أجل إزالة تشوهه أو من أجل علاج حسي معين الذي لا يترتب عليه ضرر من تخليط الجينات و ذلك في خلق طفرات تمتد للأجيال القادمة فلا حرج فيها لإزالة تشوهه أو عيب ناتج عن المرض و"لهذا فإن أهل العلم يرون عدم السماح لتعديل الطبيعة البشرية جينياً¹. كما أن الواقع يؤكد أن فكرة استخدام التعديل الجيني لتعزيز القدرات البشرية سيكون متاحاً للأغنياء" و سيخلق نوعاً من الطبقة، لهذا وجب التقييد بضوابط شرعية إسلامية تنص على منع الضرر والموازنة بين المفاصد والمصالح والضرورات والكماليات لتحديد منافعه وأضراره من حيث اتصاله بكرامة الإنسان و بقيمه و ثوابته"²، التي ينبغي أن تحترم في جميع الأحوال.

هكذا نستنتج أن الإسلام قد سبق كل الانتقادات نحو البيوجينيا من قبل فلاسفة الغرب ، والتي تشير إلى أن الإنسان وجد نفسه قد تحول إلى مجرد مجموعة من الرموز الوراثية التي تمت معرفة تكوينها الوراثي من تم التحكم فيها هذا يعني أن قدسية الإنسان أصبحت عرضة للانتهاك حتى سيطر عليه القلق و الخوف خاصة عندما حاول بعض العلماء خلق إنسان بالمقاس و بالتالي يجعلنا ننقل التصورات من الاعتبار الفلسفية إلى التحريم الديني³. ولهذا يظل التحسين الجيني محل إشكال لكونه مرتبطاً بالكرامة الإنسانية خاصة انفلت التغيير من الضبط أثناء "تصنيع الإنسان وإخصابه" للعبث بشخصية الإنسان ومسؤولياته الفردية مع الحاجة والضرورة المعتمدة شرعاً"⁴.

ب- موقف اليهودية و المسيحية لتحسين النسل:

يعقد العلماء أمالاً كبيرة على أن يؤدي استبدال الجينات المريضة بأخرى سليمة يوماً ما إلى منع الإصابة بالعديد من أنواع الأورام الخبيثة ، و على الرغم من هذه الفوائد الجمة من هندسة الجينات إلا أنها سلاح ذو حدين فهذه التكنولوجيا البيولوجيا الخطيرة (الهندسة الوراثية)، ستكون مدمرة إذا استخدمت لتحقيق كل الأغراض دون وضع قانون يحدد الباحثين الوراثيين دورهم الذي لا يجب أن

¹ - سعدية بن دئي، الجينوم والطبيعة البشرية، مقارنة تحليلية في ضوء الفلسفة والعلم التجريبي والأخلاق الإسلامية مجلة المساهمات بالعربية، الجزء 4، الفصل 10، ص 277.

² - سعدية بن دئي، نفس المرجع، ص 279

³ - ناهدة البقسيمي، الهندسة الوراثية، مرجع سبق ذكره، ص 89

⁴ - معتز الخطيب، الحدود الأخلاقية للتدخل الجيني النفاش الفلسفي والفقهي حول أخلاقيات التقنية الوراثية، مجلة التين، عدد 27، 20219، ص 65

يتعدوه أو يتجاوزوه و نتيجة لذلك ظهر فريق يشجع المضي قدما في هذا العلم لما سيحققه من آمال وما سيزيله من آلام للبشرية.

هناك تقليد مشترك من اليهود والمسيحيين والمسلمين في قولهم بأن الإنسان قد خلق على صورة الله وبالنسبة إلى المس يحيين على وجه الخصوص ، فهذا الأمر مضامينه المهمة بالنسبة إلى كرامة البشرية و هناك تمييز واضح بين خلق الإنسان وخلق غيره من المخلوقات ، فالبشر وحدهم يمتلكون القدرة على اتخاذ خيارات أخلاقية كما يملكون إرادة حرة ، و إيمان وهي قدرة تمنحهم مكانة أخلاقية أعلى من هذه المخلوقات الحيوانية و يبدع الله ليعطي كل شيء خلقه وتؤكد العقيدة المسيحية أن كل البشر يمتلكون كرامة متساوية بغض النظر عن أوضاعهم الاجتماعية هم جميعا مؤهلون للمساواة في الاحترام و عدم المساس بكرامتهم، و إخضاعهم للتجارب التي تغير من تركيبهم و صفاتهم¹.

لقد عالج رجال الدين المسيحيين هذه التقنية العلمية على أساس أن هذه المواضيع تشكل جزء مهما في الفكر الإنساني إلى جانب ظهور تخوف كبير من تبعات هذه التقنية العلمية² بحيث رفضت الديانة المسيحية العبث و التصرف بالجينات البشرية بغرض تغيير الكل و ذلك يعد الخطيئة الكبرى لأن العالم يبدو و كأنه يلعب دور الإله أي يصنع إنسان على حسب إرادته بكل صفاته و قدرات يريدتها هو كعالم و قبل أن يصدر رجال الدين حكمه.

ميز رجال الدين بين نوعين من التجارب الأولى علاجية³ أي أن رجال الدين يسمحون بالتجارب تخلص الإنسان من العيوب الوراثية وتقديم العلاج لتخليصهم من الأمراض فهي صالحة للإنسان و ليس هناك اعتراض على العمل فيها أي أنها لا تتدخل في مشيئة الله.

أما النوع الثاني من التجارب فهي محل رفض يهدف إلى خلق صورة جديدة من صور الحياة⁴ بالإضافة إلى أن رجال الدين المسيحية متخوفون من فكرة التحكم في الصفات الوراثية للإنسان، ويعتبر مثل هذا التدخل خطيئة كبرى لأنه محاولة القيام بدور الإله ، وهو ما لا يجب أن يقوم به حتى كانت النتائج إيجابية ؛ لأن فيه تهديد للإنسانية نفسها ، وقد ذهبوا إلى القول " أننا يجب أن نخاف من هاته التدخلات أكثر من خوفنا من القوى السياسية أو الحرب النووية إذ يعتقد هؤلاء أن الهندسة الوراثية الإيجابية التي هي عبارة عن تحويل الرموز الوراثية في الإنسان بحيث تتغير صفاته

¹ فرانسيس فوكوياما مستقبلنا بعد البشري مرجع سبق ذكره ص179

² الكار دينار بارتبدال التصرف في الجينات و الموقف الفكري للكنيسة الكاثوليكية مطبعة المعارف الرباط 1997 ص 156

³ ناهدة البقصي، الهندسة الوراثية و الأخلاق، مرجع سبق ذكره 212

⁴ ناهدة البقصي، الهندسة الوراثية و الأخلاق، مرجع سبق ذكره 212

الوراثية ستؤدي إلى فناء البشرية فلا معنى لأن يكون هناك مجتمع يتكون أفراده من كائنات شديدة الذكاء والقوة ولكنهم ليسوا بشرا و هذا يعني أيضا أن كل القيم و مطالبهم الإنسانية ستنتهي بما فيها الإيمان بالله¹.

إن وضع المعرفة البيولوجية في أيدي غير آمنة سيؤدي إلى تدمير العالم لأن التكنولوجيا حسب رجال الدين المسيحيين هي قوى غير طبيعية وما هو غير طبيعي لا يملكه كل الناس بل تملكه أقلية فقط، إما قوى عسكرية سياسية دكتاتورية ، وهذه الأخيرة ستحتكر المعرفة لتسيطر على البشر و تجردهم من هويتهم و إنسانيتهم و تلغي حريتهم، وهذه قضايا لا يغفر لها الرب لأنها أفعال مجاوزة لإرادة الله. على ضوء المعطيات السابقة، ومن أجل مناقشة مستجدات تحسين النسل في المجال العلمي، عقد مؤتمر بلولايات المتحدة الأمريكية تحت عنوان "ما الذي يجعل الكائن البشري شخصا نتائج بحوث الأجنة في مجال التقنيات العلمية و الدينية لطبيعة الإنسان لم يختلف العلماء ورجال الدين حول التوصيات النهائية لأنها تمثل وجهة نظر المجتمع ككل، وتتمثل هذه التوصيات فيما يلي:

- لا بد أن تستخدم الهندسة الوراثية للعلاج فقط.

- يجب أن لا يستخدم هذا العلاج إلا بعد دراسة المخاطر والفوائد التي يمكن أن تؤدي إليها مثل هذه².
على العموم، تجمع اليهودية والمسيحية على الانتباه والحذر من تداعيات تحسين النسل، و لقد ناقش رجال الدين المسيحيين واليهوديين موضوع تحسين النسل من ناحية النتائج الأخلاقية والمشاكل الاجتماعية المشتركة هكذا و يرفضون استمرار هذه العملية التقنية لأن انتشارها يعني فقدان الإنسان لحياته فيتحول الإنسان إلى معوض لقطع الغيار فتطبيق هذه التقنيات قد يؤدي إلى ظهور السوق السوداء للأعضاء البشرية.

ج-التوافق و التعارض بين الدين و العلم لتحسين النسل:

تعتبر مسألة تحسين النسل من القضايا الشائكة و المعقدة التي أثرت و مازالت تثير جدلا واسعا بين العلماء و رجال الدين و الفلاسفة و الأخلاقيين في مختلف أنحاء العالم. فقد أدى التقدم العلمي الهائل في مجالات الوراثة و الهندسة الجينية و علم الأجنة إلى فتح آفاق جديدة أمام الإنسان مثل التشخيص الوراثي قبل الولادة و تحديد الصفات الوراثية للأبناء و حتى إمكانية تعديل الجينات البشرية، هذه الإنجازات العلمية رغم ما تقدمه من آمال كبيرة في القضاء على الأمراض الوراثية و تحسين صحة

¹ ناهدة البقصي، الهندسة الوراثية و الأخلاق، المرجع سبق ذكره ص 213_214

² ناهدة البقصي، الهندسة الوراثية و الأخلاق، المرجع سبق ذكره ص 105

الأفراد و المجتمعات إلا أنها في الوقت نفسه طرحت تساؤلات جوهرية حول حدود التدخل البشري في صفات الإنسان الطبيعية .

من جهة ينظر أنصار العلم إلى تحسين النسل كفرصة ذهبية لتحسين نوعية الحياة البشرية و التقليل من معاناة الأفراد من الأمراض المزمنة و الخطيرة و تحقيق ما يعتبرونه "قف زة تطويرية في مسار البشرية" و من جهة أخرى يرى العديد من رجال الدين و المفكرين المحافظين أن هذه التدخلات قد تؤدي إلى انتهاك قدسية الحياة الإنسانية و العبث بأسرار الخلق الإلهي و تهديد قيم المساواة و العدالة بل و قد يفتح الباب أمام تمييز عنصري قائم على الصفات الجينية.¹

كما أن هناك خلافا بين الموقفين العلمي ، والديني حول ما إذا كان الهدف من تحسين النسل ينبغي أن يكون محصورا في الجانب العلاجي الوقائي أي منع الأمراض الوراثية ، و تحسين الصحة العامة أم يمتد أيضا إلى الجوانب التجميلية و الانتقائية مثل اختيار الصفات الجسدية ، والشخصية ، إضافة إلى ذلك تطرح قضية تحسين النسل إشكالية أخلاقية، و مجتمعية هامة تتعلق بمسألة العدالة الاجتماعية وإمكانية الوصول إلى هذه التقنيات ، وما إذا كانت ستكرس الفوارق بين الأغنياء و الفقراء و بين الدول المتقدمة و النامية فضلا عن تأثيرها على النظرة إلى الإنسان ككائن، يتمتع بكرامة متأصلة و ليس مجرد كائن قابل للتعديل و التحسين حسب الرغبات الفردية و المجتمعية لذا سنحاول تسليط الضوء على نقاط الالتقاء والخلاف بين العلم و الدين في مسألة التحسين مع التركيز على الجوانب الأخلاقية و الدينية و الاجتماعية المرتبطة بها و ذلك بهدف تقديم صورة شاملة و متوازنة لهذا الموضوع.

ينظر العلم إلى تحسين النسل من زاويتين رئيسيتين

1-الزاوية العلاجية: يرى العلماء أن للتقنيات الوراثية دورا هاما من حيث الوقاية من الأمراض الوراثية الخطيرة مثل البلاسميا،الهيموفيليا،وبعض أنواع السرطان و بالتالي تحسين الصحة العامة و يفسرون أن العلم قادر على تقديم حلول عملية لتحسين البشرية لأن الهندسة الوراثية تعتمد بتقنية خاصة تستطيع بفضلها أن تعزل الجزء المعين أو المريض و تعالجه² و لقد شدد جوليا تهكسلي على أن تحسين النسل يمكن أن يكون أداة لتطوير المجتمعات لاستخدامه بطريقة إنسانية .

¹ - أحمد محمود صبحي و زيدان فهمي ، في فلسفة الطب ،تقييم محمود مرسي عبد الله ،دار النهضة العربية ، 1993،ص117

² - أحمد محمود صبحي و زيدان محمود فهمي، في فلسفة الطب،تقييم محمود مرسي عبد الله ،دار النهضة العربية 1993 ص117

2- الزاوية التجميلية أو الانتقائية: و هنا يصبح تحسين النسل مثار جدل إذ يتم استخدام التكنولوجيا لاختيار الصفات مثل الطول....الجيني و الذكاء و هي الصفات السلوكية فالعلماء ينقسمون حول هذه المسألة فمنهم من يرى أنها تفتح الباب لتحسين جودة الحياة إذ يقول غالتون:"تحسين الصفات الوراثية البشرية يجب أن يكون هدفا علميا و أخلاقيا"

و منهم من يحذر من خطر ظهور "مجتمعات طبقية جينية" و تهديد مبدأ المساواة بالإضافة إلى احتمالية الانزلاق نحو التمييز العنصري أو الاجتماعي قال برنارد راسل¹ "تحسين النسل قد يستخدم ذريعة التمييز الاجتماعي و هو أمر خطير للغاية" أما ريتشارد دوكنيز فيرى رغم كونه عالما مدافعا عن العلم أشار إلى أن تحسين النسل يثير قضايا أخلاقية خطيرة لأنه يفتح الباب لتدخلات قسرية في حق الإنجاب و على هذا الأساس رفض البعض هذه التقنية الوراثية لتحسين النسل بشدة خاصة ما تعلق بالإنسان فما هو ماي واي MAY WAY يقول "إن الآثار الضارة و المميته الناشئة عن عملية غرس الجينات الغريبة في جسم كائن حي ممكن من إصابة الجسم بأمراض سرطانية"² و لقد حاول البعض تنبيه و تحذير الإنسانية من مخاطر ذلك و كل ما يترتب عن صفاته، قال جولارج والد G.WALD "إن تقنية نقل الجينات ألقت على مجتمعنا مشاكل لم يسبق لها مثيل"³ ذلك أن هذه الأخيرة تضع في يد الإنسان القدرة على إعادة تغيير المجتمع الطبيعي الحي تغييرا جذريا و الذي كان بطبيعة الحال نتاج قرون عديدة منذ خلق سيدنا آدم عليه السلام.

رغم الاختلافات الجوهرية بين العلم و الدين في بعض التفاصيل إلا أن هناك مساحة كبيرة من الالتقاء بين الطرفين فيما يتعلق بتحسين النسل.

يجمع الطرفان على أهمية استخدام التقدم العلمي في الكشف المبكر عن الأمراض الوراثية بهدف تجنب انتقالها للأجيال القادمة و هو أمر يعتبره العلماء إنجازا طبيا مهما بينما ينظر إليه الدين كوسيلة لحفظ النفس و النسل بما يتوافق مع المقاصد الشرعية و لهذا فإن المطلع على مختلف قرارات المجمع الفقهي سيكشف هذا الترحيب و القبول من طرف العلماء و المسلمين للهندسة الوراثية.

إذا كان العلم ينظر أحيانا إلى تحسين النسل كمسألة تقنية على تحسين جودة الحياة و صحة الإنسان دون الالتفاف إلى الأبعاد الأخلاقية أو الروحية فإن الدين ينظر إلى هذه القضية ضمن إطار أشمل بأخذ الاعتبار احترام إرادة الله و الغاية من وجود الإنسان الذي يرفض بعض التقنيات مثل التحرير

¹ - راسل 1872-1970 فيلسوف و رياضي إنجليزي

² - مجلة العربي، ص143 (ماي واي) بروفييسور بجامعة اوين بايطاليا و خبير في قسم العلوم الحياتية.

³ - 143 مجلة العربي، ص131

الجيني أو استنساخ البشر يثير اعتراضات دينية قوية لأنها تمس الخلق الفرد الإلهي في منح الصفات البشرية قوله تعالى "وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" ¹، فالإنجاب يكون مشتركاً بين الرجل والمرأة بطريقة شرعية "الزواج" الذي يقوي الصلة بين الأفراد فيه نشأة المجتمع لما يحمله من معاني و صور التعاون فلا صورة الإنسان تبقى ولا صورة المجتمع ² تقوم لها قائمة.

رفض الفقهاء الاستنساخ البشري لأنصقلته التنوع والاختلاف³، والله وحده من يمكن ينوع في الخلق، مصداقاً لقوله تعالى: " وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ " ⁴، فالاستنساخ فيه مجال لتغيير الخلق ، وتبديل فطرة الإنسان ، والعبث بتركيبته بحيث يمكن السيطرة عليه وتسخيره من أجل تحقيق أهداف شريرة مخالفة للسنن الإلهية ولفطرة الله الذي فطرنا الله عليها ⁵ هذا مصداقاً لقوله تعالى: "إن يدعون من دونه إلهاً وإن يدعون إلا شيطاناً مريداً لعنة الله و قال لأننا من عبادك نصيباً مفوضاً فليغيرن خلق الله و من يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسرانا مبيناً"⁶ فصفة الخلق هي لله وحده لا شريك له لقوله تعالى : وَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ (12) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (13) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (14)⁷ فصفة الخلق تتحدى الله للإنسان لقوله تعالى "يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا"⁸ . وعليه لا يجب التدخل في خلقه.

إن البشرية مبنية على تحقيق المصالح ودرء المفساد فأينما تكن المصلحة الحقيقية فتم شرع الله تعالى

¹سورة الروم الآية 21

²-أحمد راضي أحمد أبو عرب ،الهندسة الوراثية بين الخو

³-سوار عبد اللطيف عويضة ،موسوعة علم الأحياء ، عمان مجة 2008 ص23

⁴-سورة الروم ،الآية 22

⁵- ناهدة البقسيمي،المرجع السابق ،ص182

⁶- سورة النساء الآية 117-120

⁷- سورة المؤمنون الآية 12-14

⁸- الدورة الخامسة عشرة رجب 1419

أن تكون نتائج العلاج الجيني مأمونة لا يترتب عليها ضرر أكثر لا تؤدي إلى هلاك أو ضرر البدن أو العقل أو النسل أو النسب أن يكون العلاج في حدود الأغراض الشرعية و أن يكون بعيدا عن العبث والفوضى و ذلك أن لا يكون لأجل إثبات قوة العلم فقط دون أن يترتب عليه منافع للبشرية.

ألا يكون العلاج الجيني في مجال التأثير على السلالة البشرية و علي فطرة الإنسان السليمة شكلا وموضوعا بعبارة أخرى لا يؤدي إلى تغيير خلق الله أن تكون المختبرات الخاصة بالجينات و العلاج تحت مراجعة و إشراف الدولة أو الهيئات الموثوق بها ، و ذلك لخطورة هذه الاختيارات الجينية وآثارها المدمرة إن لم تكن تحت المراقبة ألا يتجاوز التعامل بالعلاج الجيني حدود الاعتدال فلا يصل إلى حدود التبذير والإسراف، وألا يجري أي علاج جيني على الإنسان إلا بعد التأكد من نجاحه بنسبة كبيرة، و أن يكون الفاعلون لهذه التجارب و العلاج الجيني من ذوي الإخلاص و الاختصاص و التجربة و الحيرة

إن المطلوب اليوم ليس صراعا بين العلم و الدين في مسألة تحسين النسل بل حوار متوازن و مسؤول يراعي مصلحة الإنسان و يحترم كرامته ، هذا الحوار يجب أن يكون مبنيا على فهم مشترك لحاجات البشرية و تحدياتها، مع إدراك واضح للحدود التي لا ينبغي تجاوزها سواء من الناحية الأخلاقية أو الدينية.

وفي الختام، فإن الوصول إلى توافق بين العلم و الدين في مسألة تحسين النسل لا يعتبر خيارا ثانويا بل ضرورة ملحة لضمان أن تكون هذه التقنيات في خدمة الإنسانية لا في خدمة مصالح ضيقة أو أهداف تجارية بحتة و حتى لا ينزلق العالم إلى منزلقات خطيرة تهدد وحدة المجتمعات و مبادئ العدالة و المساواة.

الخاتمة

الخاتمة

إن التقدم الهائل في مجال الهندسة الوراثية قد أتاح للبشرية فرصاً غير مسبوقة في فهم الإمكانيات الوراثية للإنسان، وإمكانيات التأثير عليه لتحسين الصحة العامة وتقليل المخاطر الوراثية بفضل تقنيات مثل العلاج الجيني والتعديل الوراثي، يمكن للبشر اليوم الوقاية من العديد من الأمراض الوراثية، مما يعزز من جودة الحياة للأجيال القادمة. لكن، على الرغم من هذه الإمكانيات العلمية الهائلة، فإن التطبيق العملي لتحسين النسل يتطلب معالجة إشكاليات أخلاقية دقيقة إن التحدي يكمن في تحقيق التوازن بين الحرية الفردية التي تمنح الأفراد حق اتخاذ قراراتهم الشخصية فيما يخص نسلهم، وبين المصلحة العامة التي تحرص على الحفاظ على التوازن الاجتماعي والبيولوجي، ولا يمكن تجاوز هذه المعادلة إلا عبر مقاربة شاملة تحترم الحقوق الفردية وتضمن حماية المجتمع من الآثار الجانبية السلبية المحتملة.

تقدّم النظرة الليبرالية إطاراً مرناً يتيح للأفراد حرية اتخاذ القرارات الخاصة، ولكنها في الوقت نفسه تحذر من الإفراط في استخدام تقنيات تحسين النسل التي قد تؤدي إلى زيادة التفاوتات الاجتماعية أو التمييز العنصري. ومن جهة أخرى، يُطرح مفهوم العدالة بالاعتبار كأساس يحكم هذه التقنيات إن العدالة تدعو إلى مساواة الفرص في الوصول إلى هذه التقنيات، وضمان عدم اختزال الإنسان إلى مجرد صفات جينية قابلة للتعديل، كما تحث على حماية التنوع البشري باعتباره قيمة إنسانية جوهرية.

إن نجاح تحسين النسل في المستقبل يتوقف على قدرة المجتمعات على وضع إطار أخلاقي وقانوني يتسم بالمرونة والعدالة، ويضمن تحقيق مصلحة الأفراد والمجتمع في آنٍ واحد. يجب أن نكون حذرين في استخدام هذه التقنية، وألا نسمح لها بتحديد مسار البشرية بطريقة تضرب الكرامة الإنسانية أو مبادئ العدالة الاجتماعية. إن التقدم العلمي يجب أن يظل في خدمة الإنسانية، وأن يكون مفتوحاً للجميع مع احترام التنوع والحرية، ولو كان هذا على حساب القيم والمبادئ الثابتة التي تحولت إلى مجرد أشياء زائدة لا يحتاجها الإنسان في حياته، وإنما ما يحتاجه هو تلبية رغباته وتحقيق سعادته وراحته، كالحصول على طفل دون مشقة في إنجاب، أي إنجاب مخالف للطبيعة البشرية والإنسانية، مخالف للفطرة الإلهية التي فطر الله سبحانه وتعالى عباده عليها.

أي إنجاب يقوم على طرف دون طرف آخر، وإنجاب يهدد باختلاط الأنساب دون مراعاة نتائج هذا الاختلاط.

كما أن أكبر مشكلة في تحسين النسل هي زوال قدسية الأمومة والأبوة . بالمقابل، فإن للهندسة الوراثية دورًا إيجابيًا في حياة الإنسان، فتقنيات الهندسة الوراثية ساعدت مرضى العقم على الحصول على الطفل بأساليب متعددة . إن أغلب تطبيقات الهندسة الوراثية تقود الإنسان إلى الوقوع في المشاكل، لأنها تتعدى على بعض خصوصياته وبعض حقوقه كالتعديل الجيني، كما أن التمييز بين الأشخاص على أساس رصيدهم الجيني يعد أيضًا إساءة لاستخدام علم الوراثة البشرية، ويهدد في نفس الوقت مبدأ المساواة بين البشر . منذ ظهور تقنيات الهندسة الوراثية لتحسين النسل، ازدادت المخاوف حول الانحرافات الأخلاقية، لاسيما أمام إمكانية دخول طرف ثالث في العملية، سواء كان متطوعًا بالوسائل المنوي أو متطوعة بالحمل كالألم البديلة، الأمر الذي يؤدي إلى منزلق أخلاقي خطير، ويقلب القيم في المجتمعات، ويحطم المعتقدات الراسخة منذ نشأة الإنسان لمعنى الأمومة والأبوة والوحدة البيولوجية.

وأخيرًا، يمكن القول إن رفض مبدأ احترام كرامة الإنسان من جانب، وعدم الحفاظ على بنيته وجسمه وصورته من جانب آخر، يمثلان خطرًا أخلاقيًا وعلميًا . ولهذا يجب ضبط التقنية العلمية، خاصة البيولوجية الوراثية (الهندسة الوراثية)، مثل تحسين النسل، بضوابط أخلاقية وقانونية ، مع الاستفادة من تقنيات تحسين النسل في معالجة مختلف الأمراض الوراثية، وذلك بالكشف عنها مبكرًا . ومن أجل تحقيق هذا المبتغى، يجب عقد الكثير من الندوات التي من خلالها يتم الوعي بمنافع ومضار هذه التقنيات العلمية الوراثية . كما أن الردع القانوني، و معاقبة مرتكبي الجرائم، خاصة الأخلاقية، التي تمس بكرامة الإنسان وقدسيته وحرية يمكن أن يحول دون وقوع في مشكلات أخلاقية عويصة.

قائمة المراجع

قائمة المراجع.

القرآن الكريم

أ. المراجع بالعربية

1. الحفار، س. م. (1984). البيولوجيا ومصير الإنسان. عالم المعرفة، (38). المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
2. بوفتاس، ع. (د.ط.). البيوتيقا: الأخلاقيات الجديدة في مواجهة تجاوزات البيوتكنولوجيا. إفريقيا شرق.
3. الخلف، م. (د.ط.). العصر الجينومي: استراتيجيات المستقبل البشري. عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
4. كيفلس، د.، وهودي، ل. (د.ط.). الشفرة الوراثية للإنسان (ترجمة أحمد مستجير). إصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
5. البقصيمي، ن. (1993). الهندسة الوراثية والأخلاق. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
6. الكتاني، م. (1997). أي مسؤولية أخلاقية تجاه الهندسة الوراثية؟ حقوق الإنسان والتصرف في الجينات. مطبعة المعارف الجديدة.
7. مستجير، أ. (2004). اللجنة الاستشارية المعنية بالبحوث الصحية والجينومات والصحة في العالم. منظمة الصحة العالمية، المكتب الإقليمي للشرق الأوسط.
8. روز، س. (1990). علم الأحياء والإيديولوجية والطبيعة البشرية (ترجمة مصطفى إبراهيم فهمي). عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
9. ريديلي، م. (2001). الجينوم: السيرة الذاتية للنوع البشري (ترجمة مصطفى إبراهيم فهمي). عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
10. غانم، ر. (2016). تحسين النسل بين الحق الفردي والمصلحة العامة. مجلة دراسات أخلاقية وإنسانية.

11. جان روستن. (بدون تاريخ). (الوراثة الإنسانية) خليل الجرب، مترجم). بيروت: المنشورات العربية.

12. جان روستن. (1980). (الأمومة والبيولوجيات التركيبي) عدنان، ط2). بيروت: منشورات عويدات.

13. فوكوياما، فرانسيس. (بدون تاريخ). (مستقبلنا بعد البشري: عواقب الثورة التقنية الحيوية إيهاب عبد الرحيم محمد، مترجم). مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية.

14. صبحي، أحمد محمود، وزيدان، محمود فهمي. (1993). (في فلسفة الطب. بيروت: دار النهضة العربية.

15. سعدية بن دئي، الجينوم والطبيعة البشرية، مقارنة تحليلية في ضوء الفلسفة والعلم التجريبي والأخلاق الإسلامية مجلة المساهمات بالعربية، الجزء 4، الفصل 10، 2019.

16. فتحي، محمد. (2003). (الاستنساخ: نسخة منك دون أن تدري) (الطبعة الأولى). القاهرة: دار الطائف للنشر والتوزيع.

17. كليغس، دنيل. (بدون تاريخ). (التاريخ العاصف لعلم الوراثة) أحمد مستجير، مترجم). القاهرة: المكتبة الأكاديمية.

18. بهلول، ر. (2017). (خطاب الكرامة وحقوق الإنسان. الدوحة، قطر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

19. ساندل، م. (2014). (ضد الكمال: أخلاقيات الهندسة الوراثية) أ. شوقي إبراهيم، مترجم). أبو ظبي: مؤسس كلمة – هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة.

20. راولو، ج. (1999). (نظرية العدالة) س. الغالمي، مترجم). عمان: دار المنى.

21. سلامة، ز. أ. (1994). (أطفال الأنابيب بين العلم والشريعة) ع. الخياط، مترجم). الأردن: دار العربية للعلوم.

22. البندر، إ. (1997). (بصمة الدنا: الشفرة الوراثية للإنسان) أ. مستجير، مترجم). الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

23. مبروك، ن. د. (بدون تاريخ). (التلقيح الصناعي في القانون المقارن والشريعة الإسلامية مجلة المجلس الإسلامي الأعلى] يرجى إضافة رقم المجلد/العدد وصفحات المقال.]

24. ميل، ج. س. (1953). (عن الحرية) ع. عبد الرزاق، مترجم). القاهرة: دار المعارف.

25. هابرماس، ي. (2003). *(العلم والتقنية وك. الإيديولوجية)* ح. صقر، مترجم). ألمانيا: منشورات الجمال.

26. هابرماس، ي. (2006). *(مستقبل الطبيعة الإنسانية الليبرالية: نحو نسالة الليبرالية)* ج. كتورة، مترجم). لبنان: المكتبة الشرقية.

المراجع باللغة الأجنبية

1. Fukuyama, F. (2002). *Our posthuman future: Consequences of the biotechnological revolution*. New York: Farrar, Straus and Giroux.
2. Hottois, G., & Missa, J.-N. (1999). *Nouvelle encyclopédie de la bioéthique*. Bruxelles: Université de Book.
3. Missa, J.-N., & Susanne, C. (1999). *De l'eugénisme de l'état à l'eugénisme privé*. Paris: Département de Book.
4. Turner, P. C., McLennan, A. G., & Bates, A. D. (2000). *Biologie moléculaire*. Paris: Berte Éditions.

المعاجم والموسوعات:

1. الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب (2005). القاموس المحيط، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- الأزهري، محمد بن أحمد. (2001) تهذيب اللغة، بيروت ، دار احياء التراث العربي، الجزء الرابع
2. ابن فارس، أحمد بن فارس .. (1991)، بيروت: دار الجيل.
- 3 ابن منظور، محمد بن مكرم .. (1990)، لسان العرب، بيروت : دار صادر. الجزء 13.
4. الرازي، محمد بن أبي بكر. (1999)، مختار الصحاح: مكتبة لبنان ناشرون.